القلب البلاغى

بين النظرية والتطبيق

دكتور
مصطفى السيد جبر
أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية
الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة
ومعار إلى السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعـــــد

فالبلاغة هى : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع سلامته مما يخل بفصاحة الكلمة، أو الكلام، ولكل حال مقام يناسبها ، وذلك أن أحوال الناس مختلفة ؛ فلكل قدر من الذكاء ، وهم كذلك مختلفون من حيث القبول أو التردد، أو الإنكار فيما يلقى عليهم من الأخبار ... ثم إن من موضوعات (١) الكلام ما يستدعى إيرادها على نسق خاص ، أو غيره بغية الإفادة ، أو الإقناع ومن ثم قيل : « لكل مقام مقال » .

والبليغ هو الذى يراعى هذه الأحوال ؛ فيورد كلامه على كيفيات مناسبة من : التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والفصل أو الوصل ... إلى غير ذلك تحقيقاً للمطابقة .

ومن البلاغة : أن الكلام قد يخرج على خلاف مقتضى ظاهر الحال ، فيورد على كيفيات أخرى . مثل : وضع الظاهر موضع المضمر ، وعكسه ، والالتفات ، والأسلوب الحكيم ، والقلب (٢) ...

وقد رأيت أن أكتب هذه الدراسة عن «القلب» ؛ لأن كتب البلاغة تناولته تناولاً أشبه بالرمز أو الإشارة . هذا إلى أن مادته العلمية ، وشواهده تناثرت فى كتب التراث ، ونالها من اختلاف العلماء الكثير حتى إن بعضهم ينفى البلاغة عن «القلب» . وإن جمع مادته العلمية - ما أمكن - من كتب التراث ، وتصنيفها ، ودراستها يحتاج إلى جهد ، وصبر ، وهذا ما وطنت

---

(١) وهذا كما يقول الخطيب فى بداية الخطبة : « إنَّ الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ونستهديه ... » بتأكيد الجملة مع أن المتلقين للخطبة غير مترددين ، ولكن لما كان لموضوعها من الأهمية سا غ ذلك التأكيد .

(٢) انظر . الإيضاح بتحقيق وشرح الشيخ عبد المتعال الصعيدى . ط ١ صـ ١٤٧ - ١٦٨ .

النفس عليه حتى خرج هذا البحث بفضل الله . وقد جعلته فى مقدمه ، وأربعة مباحث ، وخاتمة .

وقد كشفت فى المقدمة عن أهمية الموضوع وخطته . أما عن المباحث فهى على النحو التالى :

المبحث الأول : مفهوم القلب عند علماء اللغة والبيان .

المبحث الثانى : مواقع القلب .

المبحث الثالث : القلب البلاغى فى سجل التاريخ « (دراسة نظرية) .

المبحث الرابع : القلب فى كلام العرب : (دراسة تطبيقية) .

وفى الخاتمة بينت – بإيجاز – عناصر البحث من حيث مفهوم القلب عند علماء البلاغة والبيان ، ومدى التلاقى بينهما ، ثم أشرت إلى موقعه فى علوم البلاغة : (المعانى والبيان والبديع) ، وكذا موقعه فى الاسناد الخبرى وتوابعه من المفعول به ، والجار والمجرور ... ثم أشرت إلى تصور العلماء له وآرائهم فيه منذ بدء التدوين وإلى « ابن هشام » النحوى ، وأن الآراء كانت بين مد وجزر . وفى المبحث الرابع عرضت لشواهد من كلام العرب ودرستها على ضوء القواعد ، وغير ذلك من الحال والمقام ، وقد رجحت – قدر طاقتى – ما رأيته مناسباً فقد حاولت التزام الحيدة ، والبحث عن الصواب . وفى النية إن شاء الله متابعة البحث وبيان تصور العلماء عن « القلب » فى القرآن الكريم ، من مجيزين ، ومانعين ..... الخ . والاهتداء بعون الله إلى الصواب وأدعو الله بالتوفيق والسداد .

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً)

دكتور

مصطفى السيد جبر

المبحث الأول
القلب عند علماء اللغة والبيان

أولاً :- عند علماء اللغة :-

١- قال الزمخشرى : « قلب الشىء : حوّله من وجهه ، وحجر مقلوب ، وكلام مقلوب ، وقلب رداءه ... ومن المجاز : قلب المعلم الصبيان : صرفهم إلى بيوتهم . (١)

٢- وقال الفيومى : « قلبته قلبا من باب ضرب : حولته عن جهه ، وكلام مقلوب : مصروف عن وجهه ، وقلبت الرداء : حولته وجعلته أعلاه أسفله ... وقلَّبتُ بالتشديد فى الكل مبالغة ، وتكثير وفى التنزيل : ﴿ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ ﴾ (٢) » . (٣)

٣- وقال ابن منظور : « القلب : تحويل الشىء عن وجهه . قَلَبَهُ يقْلِبُهُ قَلْباً .. وقد انقلب ، وقلَب الشىء وقلَّبهُ : حوله ظهراً لبطن ... وكلام مقلوب .. » . (٤)

وقال : « .. والعرب تقول : انتصب العود فى الحرباء على القلب ، وإنما هو : انتصب الحرباء فى العود . وذلك أن الحرباء ينتصب على الحجارة ، وعلى أجذال الشجر يستقبل الشمس ؟ فإذا زلت زال معها مقابلاً لها » . (٥)

وقال : « يقال هاب الشىءَ يهابُه : إذ خافه ، وإذا وقّره ، وإذا عظَّمه ، واهتاب الشىءَ كهابه .. ويقال : تهيَّبنى الشىءُ بمعنى : تهَّيبتُه أنا . قال ابن سيده : تهَّيبتُ الشىءَ ، وَتهيَّبنى : خِفتُهُ ، وخوَّفنى .

---

(١) أساس البلاغة (قلب) .
(٢) سورة التوبة ٩ الآية : ٤٨ ٩ .
(٣) المصباح المنير : (قلب) .
(٤) اللسان : (قلب) .
(٥) اللسان : (حرب) .

قال ابن مقبل :

وما تهيِّبني الموماة أركبها إذا تجاوبت الأصداء بالسحر .. (١)

وقال : « ناء به الحمل ، وأناءه .. أثقله وأماله كما يقال : ذهب به وأذهبه بمعنى . وقوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (٢) قال : نوءها بالعصبة : أن تثقلهم . والمعنى إن مفاتيحه لتنوءُ بالعصبة أى تميلهم من ثقلها ، فإذا أدخلت الباء قلت : تنوء بهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ (٣) والمعنى إيتونى بقطر أفرغ عليه » . (٤)

فالمادة تدور حول تحويل الشيء ، وصرفه عن وجهه : حسياً كان ، أو معنوياً . وإذا فعلماء اللغة قالوا بالقلب فى كلام العرب ، وفى القرآن الكريم ، ولكن الكثير من علماء البيان والمفسرين لم يسلموا بالقلب فى القرآن ودافعوا عنه كثيراً .

ثانياً :- عند علماء البلاغة :-

هذه التصورات للقلب مهدَّت لتعريف التفتازانى له بقوله : « وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر ، والآخر مكانه » (٥) أى يجعل متصفا كل منهما بصفة الآخر ، وحكمه ، لا مجرد الوضع موضعه، مع بقاء كل منهما على حكمه الاصلى . (٦) ويخرج بهذا التعريف أمور :-

١- التقديم والتأخير ، فإن كلا من المقدم والمؤخر لايزال باقيا على حاله، واعرابه ، فقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٧) وقوله سبحانه : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾ (٨) المقدم فى الأول المفعول

---

(١) اللسان : (هيب) .
(٢) سورة القصص " الآية : ٧٦ " .
(٣) سورة الكهف " الآية : ٩٦ " .
(٤) اللسان : (نوأ) .
(٥) المطول صـ ١٣٧ ، وانظر . شرح عقود الجمان . جـ صـ ١١٢ .
(٦) عروس الافراح . لبهاء الدين السبكى جـ صـ ١١٢ . ضمن (شروح التلخيص) .
(٧) سورة الفاتحة " الآية : ٥ " .
(٨) سورة الروم " الآية : ٤ " .

به (إياك) ، وفى الثانى : الخبر : (لله) وهما لايزالان على حكمهما ، وإعرابهما .

وقد مثل السبكى بقوله : « فليس منه فى الدارزيد ، وضرب عمراً زيدٌ ؛ إذْ تقديم الخبر فى الأول ، والمفعول فى الثانى لم يخرجهما عن كون الأول خبراً ، والثانى مفعولاً » . (١)

وهذا بخلاف قولهم : قطع الثوبُ المسمارَ ، فإن الثوب صار بالقلب فاعلاً ، وأخذ إعرابه ، والمسمار صار مفعولاً ، وأخذ إعرابه .

٢- البناء لما لم يسم فاعله . فإن قولهم فى التعريف : « مكان الآخر » يخرج به نحو : ضُرِب عمرو (٢) حيث وضع المفعول به مكان الفاعل بعد حذفه ، وليس ثمة تبديل بينهما فى المكان .

٣- العكس وهو : أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر ، كقول بعضهم : عادات السادات سادات العادات ، ومنه قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ » (٣) . (٤)

---

(١) عروس الأفراح . جـ ٤ صـ ١١٢ ، وانظر . حاشية الشيخ مخلوف والمنياوى صـ ٩٢ ، وشرح عقود الجمان صـ ١١٢ .

(٢) انظر . حاشية الشيخ مخلوف . صـ ٩٢ .

(٣) سورة البقرة " الآية : ١٨٧ " .

(٤) انظر . الإيضاح . جـ ٤ صـ ٢٦ ، ٢٧ ، والبرهان . للزركشى جـ ٣ ص ـ ٢٩٣ .

المبحث الثانى
مـــواقـــــع القـلـــب

وينتظم البحث فى هذا الفصل الأمور التالية :-

أولاً :- موقعه فى علوم البلاغة :-

أشـار كثـيـر من العلمـاء إلى القلب ، ومنهم مـن عـقـد لـه المبـاحث المستقلة [١] هذا إلى أنه ورد فى كثير من المصادر ، ولا سيما كتب التفسير فى مواضع متفرقة . عند تفسير بعض الآيات . وورد فى كتب البلاغة موزعا على علومها : (المعانى والبيان والبديع) غير أن الجانب الأكبر منه كان من نصيب (علم المعانى) .

يقـول الشـيخ مـخلوف : « رأيت ابن جـمـاعـة [٢] قـال فى حـواشى التـبـرزى : أعلم أن القلب ذكـر فى أمـاكن خـمـسـة. هذا، وهو فى المعـانى والثـانى فـى فن البـيـان فى بحث التـشـبـيـه المقلوب، والثالث فى التـجنيس، والرابع فى البـديع فـى غـيـر التـجنيس، والخـامس فى الخـاتمة فى بحث السرقة» ثم يعترض على هذا التشتيت والتمزيق ؛ فيقول : « ولك أن تقول : أى فـرق بين هذه الصـور القلبيـة حـتى صـار بعضـهـا من قـبـيل المحسن الذاتى ، ومن صميم البلاغة » [٣] يعنى كان الأولى تجميع هذه الأنواع فى موضع واحد ، ولا داعى لتمزيق « القلب » على النحو التالى :-

١- الجزء الأكبر منه درس ضمن مباحث « علم المعانى » فى مبحث صور تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر [٤] .

---

(١) انظر . تأويل مشكل القرآن . صـ ١٨٥ ، والصاحبى صـ ٣٢٩ ، والبرهان جـ ٣ صـ ٢٨٨ .

(٢) هو محمد عز الدين بن أبى بكر بن عبد العزيز . ولد بينبع ، وعاش بمصر وألف كثيراً فى النحو . توفى سنة ٨١٩ هـ .

(٣) حاشية الشيخ مخلوف المنياوى . صـ ٩٣ .

(٤) انظر . الإيضاح . جـ ١ صـ ١٤٧ - ١٦٨ .

٢- التشبيه المقلوب ، وهو أن يجعل المشبه به مكان المشبه ، والعكس بغرض المبالغة ، ومن أمثلته قول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كأن غرته

وجه الخليفة حين يمتدح

حيث قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء [١] .

ومع أن العلماء درسوا التشبيه المقلوب ضمن مباحث التشبيه إلا أنهم درسوا بعض أمثلته فى علم المعانى ، ومنها قول رؤبة :

ومهمه مغبرة أرجاؤه

كأن لون أرضه سماؤه [٢]

٣- وذكر فى الجناس الناقص : وهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان فى عدد الحروف ، أو تربيتها ، أو هيئتها ، أو فى نوع حرف منها ، ولكل أمثلته .

ولكن إذا اختلفت الكلمتان المتجانستان فى ترتيب الحروف سمى جناس القلب [٣] وهو إما قلب الكل مثل :

حسامة فتح الأوليائه حتف لأعدائه

أو قلب للبعض كقول أبى الطيب :

ممنعة منعمة رداح

يكلف لفظها الطير الوقوعا

القلب فى الأول بين : فتح ، وحتف ، وهو فى الثانى بين : ممنعة ، منعمة . وهذا فى البديع .

---

(١) المطول صـ ٣٣٤ .

(٢) الايضاح . جـ ١ صـ ١٦٤ ، والمطول صـ ١٣٨ ، ومفتاح العلوم صـ ٢١١ .

(٣) انظر . الإيضاح جـ ٤ صـ ٨٤ .

٤- وذكر نوعا مستقلا فى البديع ، وبيَّنه سعد الدين بقوله : « أن يكون الكلام بحيث إذا قلبته وابتدأت من حرفه الأخير إلى الحرف الأول كان الحاصل بعنيه هو هذا الكلام » (١) قال الخطيب : « ومنه - أى من صور البديع - القلب ، كقولك : أرض خضراء ، وقول عماد الدين الكاتب للقاضى الفاضل : سرِ فلاكبا بك الفرس » (٢) .

ولا يخفي أن فيه تكلفا ، . وفي غيرطائل

٥- وذكر أيضاً فى السرقات الأدبية . قال الخطيب : ومنه القلب ، وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول سمى بذلك لقلب المعنى إلى نقيضه . كقول أبى الشيص :

أجـــد الملامـــة في هواك لذيذة

حـــبّـــا لذكـــرك فليلمني اللوّم

وقول أبى الطبيب :

أأحـــبـــه وأحب فـــيـــه مـــلامـــة

إن الملامـــة فـــيـــه من أعـــدائه

فالأول يحب الملامة فى الممدوح ، ويستمتع بلوم الحاسدين أما الثانى فإنه ينكرها فيه ؛ لأنها من أعدائه (٣)

هل للقلب علاقة بالمجاز؟

يرى بعض العلماء أن للقلب علاقة بكثير من أنواع المجار ولا يخفى أن ذلك فيه تثرية للمعانى ، وتكثير للأغراض ، ودلالة على جهد علماء العربية الذين يحاولون - قر طاقتهم - إبراز مكنونات تراكبيها ، ومما لا شك فيه ؟ أن النكت أو الأسرار البلاغية لا تتزاحم . وأذكر بعض الآراء .

---

(١) المطول . صـ ٤٥٧ . (٢) الإيضاح جـ ٤ صـ ١٠٠ .

(٣) السّرقة نوعان : ظاهرة ، وغير ظاهرة ، والقلب من النوع الثانى . انظر . الإيضاح . جـ ٤ صـ ١٢٤ .

١- يرى بعض العلماء أن قوله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فأستعذ بالله ﴾ من القلب على معنى : استعذ بالله إذا قرأت القرآن .

وآخرون يرون أن المعنى : إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله [١] فيكون من حذف السبب أكتفاء بالمسبب على سبيل المجاز المرسل . بعلاقة : المسببية .

٢- ويجوزأن يتردد الأسلوب بين القلب ، والمجاز العقلى ومن أمثلته : « تهيبَّنى الشئُ : إذا هبتَه ، وتهيبتهُ ..

قال ابن مقبل :

ولا تهيِّبُني المومـاة أركـبـهـا
إذا تجـاوبت الأصـداء بالسـحـر [٢]

حيث أسند التهيب إلى الشئ ، وهو المومأة فى المثالين .

والإسناد على الحقيقة يكون لذى الروح . قال الشيخ مخلوف وهو يشرح تعريف القلب : وعلم منه أيضاً : أن القلب من المجاز العقلى . [٣]

٣- أورد الشريف المرتضى وجوها من الاعترض على من قال بالقلب فى قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [٤] منها : « ويجب أيضاً على قولهم أن يكون المراد بـ « من » هنا « فى » ؛ لأن شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان ، وإنما تكون فيه .

وهذا تجوز على تجوز ، وتوسع على توسع ؛ لأن القلب أولاً مجاز ثم هو من بعيد المجاز ، وذكر العجل والمراد غيره مجاز آخر ، وإقامة « من » مقام «فى» كذلك. [٥]

---

(١) انظر . الخصائص . جـ ٣ صـ ١٧٣ ، والبحر المحيط . المجلد الخامس . صـ ٥٣٥ .
(٢) كتاب الاضداد . لأبى حاتم السجستانى صـ ١٢٨ ضمن : (ثلاثة كتب في الأضداد) .
(٣) حاشية الشيخ مخلوف المنياوى . صـ ٩٢ .
(٤) سورة الأنبياء " الآية : ٣٧ " .
(٥) أمالى المرتضى . صـ ٤٦٨ .

يعنى التعبير بالعجل عن الطبع الداعى إليه - كما افترض الشريف المرتضى - حيث إن بالامكان المنع أو الموافقة ، وما فيه من القلب يكون مجازاً على مجاز ، وكذلك « من » بدل « على » مجاز ثالث .

٤- وفى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ (١) يقول البيضاوى : « يعذبون بها » ، فيقول الشهاب (٢) : «يعنى أن عرضهم على النار إما مجاز عن تعذيبهم من غير قلب، فهو كقولهم : عرض بنو فلان على السيف : إذ اقتلوا به . فالمراد به الاستعارة التبعية ؛ لأنها جرت فى فعل : (يعرض) . وفى قوله تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾(٣) يقول البيضاوى : « عرضهم على النار : إحراقهم بها من قولك : عرض الأسارى على السيف » فيعلق الخفاجى بأن هذا أستعارة تمثيلية . بتشبيههم بمتاع يبرز لمن يريد أخذه ، وجعل السيف والنار كالطالب الراغب فيهم ؛ لشدة استحقاقهم للهلاك » (٤)، وفى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ (٥) يقول البيضاوى : « (فتدلى) فتعلق به ، وهو تمثيل لعروجه بالرسول - ﷺ - ؛ فيكون من الاستعادة التمثيلية .

وهكذا اختلفت الآراء ، فمن العلماء من جمل المعنى موافقا ومساير اللنظم - ولا سيما فى القرآن الكريم - وهذا أسلم وأوله - ، ومنهم من قال بالقلب .

ثانياً : مواقعه فى الإسناد الخبرى وتوابعه :

كان لعلم المعانى النصيب الأكبر لدراسة القلب . من حيث مفهومه ، وآراء العلماء فيه، وذكر أمثلته ، وبيان مواقعه فى الإسناد .، وسنبين هذه الأنواع .

---

(١) سورة الأحقاف " الآية : ٢٠ ، ٣٤ " .
(٢) حاشية الشهاب الخفاجى . جـ ٨ صـ ٣٣ .
(٣) سورة غافر " الآية : ٤٦ " .
(٤) حاشية الشهاب الخفاجى . جـ ٧ صـ ٣٧٥ .
(٥) سورة النجم " الآية : ٨ " .

١- يقع القلب بين الفعل والمفعول مثل : قطع الثوبُ المسمار . فقد وضع الثوب مكان المسمار ، والمعنى على القلب ؛ لأن المسمار هو الفاعل .

ومن ذلك : تهيَّبتنى البلادُ ؛ إذ المعنى : تهّيبت البلاد ؛ لأن البلادَ لاتتهيب أحداً.

٢- ويقع بين المفعول الصريح وغيره من التوابع . مثل : عرضت الإبل على الحوض ، إذ الأصل : عرضت الحوض على الإبل ، لأن المعروض عليه يكون له إدراك ، فيقبل أو يرد ، ومثل : أدخلت الخاتم فى أصبعى فالقلب بين المفعول ، والجار مع مجروره .

٣- ويقع بين المفعولين مثل : جعلت الخزف طينا ؛ إذ الأصل : جعلت الطين خزفا .

٤- ويقع بين نائب الفاعل والجار والمجرور . قال الشاعر .

إن سراجاً لكريم مفخرة

تحلي به العين إذا ما تجهره

سراج : اسم رجل . والعين لا تحلى به ، وإنما يُحلى هو بها [١]

٥- ويقع بين معمولى ناسخ . قال الشاعر :

قفي قبل التفرق يا ضباعا

ولايك موقف منك الوداعا

؛ إذ الأصل : ولاديك الوداع موقفا منك [٢] ، فقلب

٦- ويقع بين السبب والمسبب مثل :

يمشي فيقعس أو يكب فيعثر

أراد قائله : يعثر ، فيكب [٣]

---

(١) انظر . معانى القرآن . جـ ٢ صـ ٩١ . (٢) المطول ، خزانة الأدب لابن حجة : ٢ / ٣٦٧ .

(٣) مفتاح العلوم . صـ ٢١١ ، ومعاهد التنصيص . جـ ١ صـ ١٧٨ .

٧- ويقع بين المضاف والمضاف إليه كقول الفرزدق :

وبت أفض خـتـام الأغـلاق

قال أبو على : فكأنه من المقلوب . أى أفض ختام الأغلاق ، ألا ترى أن الأغلاق والأقفال المختوم عليها إنما يفض الختم الذى عليها . (١)

ومعلوم أن المضاف والمضاف إيه كالشئ الواحد ، ولعل هذا هو الذى جعل أبا على يقول : " فكأنه من المقلوب " .

٨- ويقع بين جزئى المتضايفين المكررين تقول النابغة :-

لقد خفت حتي ما تزيد مخافتي

علي وعل في ذي المطارة عـاقل

قال الفراء : " حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتى " (٢)

وبين طرفى التشبيه كقول أبى تمام :

لعـاب الأفـاعي القـاتلات لعـابه

وأري الجني اشـتـارته أيد عـواسل

أراد: تشبيه مداد قلم الممدوح بلعاب الأفاعى ؛ فعكس للمبالغة (٣)

وهذا النوع موقعه « علم البيان » .

---

(١) البحث البلاغى عند أبى على الفارس وأثره فى الدراسات البلاغية للأستاذ الدكتور : فوزى عبد ربه عيد . صـ ٢٢٧ . نقلاً عن الحجة : ٢٢٢/٢ .

(٢) معانى القرآن : جـ ٢ . صـ ٩١ .

(٣) الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة . لمحمد بن على الجرجانى صـ ٥٨ ، شروح التلخيص . جـ ١ صـ ١١٣ .

المبحث الثالث
القلب البلاغى فى سجل التاريخ : (دراسة نظرية)

أولاً : القلب البلاغى عند سيبويه (ت ١٨٠ هـ)

وسيبوية أشهرمن نار على علم ، ولمؤلفه (الكتاب) منزلة فى علوم اللغة والبيان . وفيه يقول عن القلب .

١- " وأما قوله : ... أُدخل فوه الحجر . فهذا كلام جرى على سعة الكلام . والجيد : أدخل فاه الحجر . كما قال : أدخلت القلنسوة فى رأسى . والجيد : أدخلت فى القلنسوة رأسى . قال الشاعر :

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه
وسائره بادٍ إلي الشمس أجمع

فوجه الكلام هذا ؛ كراهية الانفصال (١)

المثالين الأولين من القلب . أما البيت فان " مدخل الظل رأسه " من التقديم والتأخير . حيث أضيف " مدخل " إلى مفعوله الثانى : " الظل " ، وأخر المفعول الأول : " رأسه " لكان فصل بين المتضايفين بالجار والمجرور .

٢- ومن أبواب الكتاب : (باب استفعلت) ويقول فيه :

" وإذا أراد الرجل أن يدخل نفسه فى أمر يضاف إليه ، ويكون من أهله فإنك تقول : تفَعَّل . وذلك : تشجَّع ، وتبصَّر ، ومثله : تهيبَّنى كذا وكذا ، وتهيبَّتْنى البلادَ ، وتكاء دنى ذاك الأمر تكاؤداً . أى شق علىَّ " . (٢)

فقوله : تهيبَّنِي كذا وكذا ، وتهيَّبتُنى البلادُ " من أمثلة القلب ، وإن لم يصرح بذلك سيبويه ، وقد فسره من جاء بعده ، واستشهدوا به على القلب ، فابن منظور يقول : " تهيَّبنِى الشئُ : تهيَّبتُه أنا " . (٣)

---

(١) الكتاب . جـ ١ . صـ ٩٢ .
(٢) الكتاب . جـ ٤ . صـ ٧٠ .
(٣) اللسان : (هيب) .

فسيبويه جعل القلب من سعة الكلام ، والكلام المقلوب غير جيد ، والجيد عنده الكلام قبل القلب ، كما أنه خلط بين التقديم والتأخير ، والقلب ولما لسيبويه من منزلة فى اللغة والبيان . فقد كان لرأيه أثرعند العلماء ، فقد ذهبوا فى القلب مذاهبَ شتى بين القبول ، والرفض .. الخ .

ثانياً : القلب البلاغى عند أبى عبيدة : (ت ٢٠٧ هـ)

وننتقل إلى أبى عبيدة لنعرف رأيه فى (مجاز القرآن) :

ففى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (١) يقول : « أى مفاتيح خزائنه . ومجازه : ما إن العصبة ذوى القوة لتنوء بمفاتح نعمه ، ويقال فى الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله . والعرب تفعل هذا مثل قول الشاعر :

فديت بنفسه نفسى ومالى
وما آلوك إلا ما أطيق

والمعنى : فديت بنفسى ومالى نفسه ... ويقال : إعرض الناقة على الحوض ، وانما يعرض الحوض على الناقة » . (٢)

وفى قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣) يقول : « مجازه خلق العجل من الإنسان ، وهو العجلة . والعرب تفعل هذا إذا كان الشىء من سبب الشىء بدءوا بالمسبب . وفى آية أخرى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (٤) . والعصبة هى التى

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى . الخبير باللغة والإنسان والأخبار تلقى العلم على يونس بن حبيب ، وأبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم ، وأبو حاتم السجستانى . من مؤلفاته : « مجاز القرآن » . وهو يمثل التيار اللغوى للتفسير ، وبه من الآثار البيانية الكثير ، ويعنى بالمجاز : الطريق إلى فهم المعنى توفى سنة ٢٠٧ هـ .

(٢) مجاز القرآن . جـ ٢ . صـ ١١٠ .

(٣) سورة الأنبياء " الآية : ٣٧ " .

(٤) سورة القصص " الآية : ٧٦ " .

تنوء بالمفاتيح . ويقال : إنها لتنوء عجزيتها ، والمعنى : إنها هى التى تنوء بعجيزتها . قال الأعشى :

لحقوقه أن تستجيبى لصوته
وأن تعلمى أن المعان موفق

أى . أن الموفق معان . وقال الأخطل :

مثل القنافذ هداحون قد بلغت
نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

وانما السوءة البالغة هجر . وهذا البيت مقلوب » (١)

ويقول أبو عبيدة فى موضع آخر : « والعرب تقول الشىء فتحوله إلى شىء من سببه . يقولون : إعرض الحوض على الناقة ، وإنما تعرض الناقة على الحوض . ويقولون : أدخلت القلنسوة فى رأسى ، وإنما أدخلت رأسك فى القلنسوة ، وكذلك الخف . وهذا الجنس ، وفى القرآن : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ما إن العصبة لتنوء بالمفاتح . أى تثقلها » . (٢)

فأبو عبيدة (٣) يقول بالقلب فى القرآن الكريم ، وفى كلام العرب شعراً ونثراً ، كما أنه يبين أصل التركيب قبل القلب ، وأنه يكون بين الشيئين بينهما ارتباط ما كالمسبب والسبب .

وإذا كان العلماء بعد بينوا أن الذى حملهم على القلب طبيعة كل من الطرفين حيث إن « المناسب أن يؤتى بالمعروض نحو المعروض عليه ويحرك بالظرف نحو المظروف ، وكان الأمر هنا بالعكس - فإنهم - قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار » فإن أبا عبيدة أشار إلى ذلك بقوله : « ... وكذلك الخف، وهذا الجنس » .

---

(١) مجاز القرآن . جـ ٤ . صـ ٣٨ .
(٢) مجاز القرآن . جـ ١ . صـ ٦٤ .
(٣) شرح عقود الجمان . جـ ١ صـ ١١٣ .

ثالثاً : القلب البلاغى عند الفراء : (ت ٢١٠ هـ) (١)

من أهم مؤلفاته : « معانى القرآن » وفيه نظرات بلاغية كثيرة وقد ورد فيه القلب فى غير موضع .

١- فقد وقف عند قوله تعالى : ﴿ ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ محللا لبعض مفرداتها ومبينا معانيها . ثم أورد بعض أمثلة « القلب» حيث قال : « والمعنى ما إن مفاتحه لتنىء العصبة . أى : تميلهم من ثقلها . فإذا أدخلت الباء قلت : تنوء بهم ، وتنىء بهم . كما قال : ﴿ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴾ (٢) . والمعنى : إيتونى بقطر أفرغ عليه .. ومثله : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ (٣) . معناه : فجاء بها المخاض . وقال رجل من العربية : إن العصبة لتنوء بمفاتحه ، فحول الفعل إلى المفاتح ، كما قال :

إن سراجا لكريم مفخر
تحلي به العين إذا ما تجهره

وهو الذى يحلى بالعين ، فإن كان سمع بهذا أثرا فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى » .

فالفراء يرى أن الباء فى « بالعصبة » للسببية ، ولذا حمل المعنى على القلب .

٢- وفى موضع آخر أورد الفراء آية القصص ، والبيت السابق آنفا ، وبين المعنى على القلب . (٤)

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن زياد ولد بالكوفة من أصل فارسى ، وتجر فى علوم كثيرة . وكتابة « معانى القرآن » من الكتب التى تعنى بوجوه الإعراب والقراءات ، والتراكيب فى النظم القرآنى، وهو غنى بالشواهد من كلام العرب . توفى الفراء سنة ٢٠٧ هـ .

(٢) سورة الكهف " الآية : ٩٦ " . وقال الفراء عندها : " إيتونى قطراً أفرغ عليه " . معانى القرآن . جـ ٢ صـ ١٦٠ .

(٣) سورة مريم " الآية : ٢٣ " . وقال عندها : " كما تقول : فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة " . معانى القرآن . جـ ٢ . صـ ١٦٤ .

(٤) معانى القرآن . جـ ٢ . صـ ١٢١ ، وانظر التعليق على البيت أيضاً فى جـ ٢ . صـ ٩١ .

٣- وجعل الفرّاء بناء الفعل للمفعول فى قوله تعالى . ﴿ فعميت عليكم ﴾ [١] من القلب . حيث يقول : ﴿ فعُمِّيتْ عليكُم ﴾ [٢] قرأها يحيى بن وثاب والاعمش وحمزه ، وهى قراءة أُبىّ : (فعمّاها علكيم) . وسمعت العرب تقول : قد عُمىَ على الخبر ، وعمِىَ على بمعنى واحد - وهذا مما حولت العرب الفعل إليه وليس له . وهو فى الأصل لغيره . ألا ترى أن الرجل الذى يعمى عن الخبر ، أو يعمى عنه ، ولكنه فى جوازه مثل قول العرب : دخل الخاتم فى يدى، والخف فى رجلى ، وانت تعلم أن الرجل التى تدخل فى الخف، والإصبع فى الخاتم . فاستخفوا بذلك إذا كان المعنى معروفاً ، لا يكون لذا فى حال ، ولذا فى حال ، إنما هو لواحد ، فاستجازوا ذلك لهذا ، وقراءة العامة فعَميتْ » .

فالفراء جعل القراءة بالبناء للمجهول من القلب ، لأن الفعل حول من البناء الفاعل إلى المفعول ، واستشهد بالمأثور عن العرب .

وأقول القلب بمعناه البلاغى لايتأتى فيها ، وقد نص العلماء على أن البناء لنائب الفاعل خارج عنه . [٣]

والزمخشرى مع ذكره للقراءات لم يشر إلى القلب فى أىّ منها ، فهو يقول : « وقرىء فعُميت بمعنى أُخفيت ، وفى قراءة أُبىّ : " فعماّها عليكم " فإن قلت : ما معنى قراءة أُبىّ ؟ قلت : المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها ؟ فخلاهم الله وتصميمهم ، فجعلت تلك التخلية تعمية منه » . [٤]

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ سورة هود " ٢٨ " .

(٢) قال أبو حيان : " قرأ الاخوان وحفص (فعُمِّيتْ) بضم العين وتشديد الميم مبنياً للفاعل . وقرأ أبىّ وعلىّ والسلمىّ والحسن والاعمش فعمّاها عليكم " البحر المحيط . المجلد الخامس . صـ ٢١٦ ، انظر . الكشاف جـ ٢ . صـ ٢٥٦ ، والقرطبى . المجلد الخامس . صـ ١٩ .

(٣) انظر . صـ ٧ ، حاشية الشيخ مخلوف . صـ ٩٢ . (٤) الكشاف . جـ ٢ . صـ ٢٦٥ .

وقد رد أبو حيَّان على من قال بالقلب . فبعد توجيهه للقراءات قال : «وقيل : هذا من المقلوب . فعميتمُ أنتم عنها . كما تقول العرب : أدخلت القلنسوة فى رأسى ... قال أبو على : « وهذا مما يقلب ؛ إذ ليس فيه إشكال...» .

ثم قال فى الرد : « ولو كان : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ من باب القلب لكان التعدى بـ « عن » . دون « على » . ألا ترى أنك تقول : عميت عن كذا ، ولا تقول : عميت على كذا » . (١)

ووجه القراء الشيخ محمد الطاهر بن عاشور على المجاز حيث قال : «إن " عمى " بمعنى : " خفِى " تتعدى بـ " على " ؛ لإفادة التمكن ؛ فالاستعلاء مجازى ، على سبيل الاستعارة التبعية » . (٢)

فالمعنى إذاً فى القراءة على بناء الفعل للمفعول بعد حذف الفاعل ، لا على القلب .

والفراء يبين المعنى بعيداً عن القلب فى قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، فيقول : « وعلى عجل ، كأنك قلت : بنيته وخلقته من العجَلة ، وعلى العجَلة » . (٣)

فالمعنى على هذا موافقاً لنظم الآية ؛ فلا قلب فيها .

ومما يحمد للفراء أنه جعل : « مدخل الظل رأسه » من قول الشاعر :

تري الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائره بادٍ إلي الشمس أجمع

من التقديم والتأخير (٤)، وذلك بإضافة : "مدخل" إلى مفعوله الثانى : "الظل" ، وتأخير مفعوله الأول " رأسه " ، ولم يقل بالقلب كما قال غيره .

فالفراء يقول بالقلب فى القرآن الكريم ، وفى كلام العرب إذا كان المعنى واضحا .

---

(١) البحر المحيط . المجلد الخامس . صـ ٢١٦ . (٢) انظر . التحرير والتنوير . جـ ١٢ . صـ ١٥ .
(٣) معانى القرآن . جـ ٢ . صـ ٢٠٣ . (٤) انظر . معانى القرآن . جـ ٢٠٢ .

رابعاً : القلب البلاغى عند الأصمعى (ت ٢١٧ هـ)

وهو عبد الملك بن قريب العالم اللغوى الراوية الثبت صاحب المؤلفات الكثيرة ، ومنها "كتاب الأضداد" والذى يعد أول كتاب فى هذه السلسلة (١)، وهو يعنى فيه ببيان معانى الألفاظ المتضادة ، فيشرحها ، ويبين ملابساتها اللغوية مع ترجيح ما يراه صحيحاً .. وسأورد بعض شواهد القلب التى حفل بها الكتاب .

قال : " قال أبو حاتم : يقال : ناء بى الجمل نوءاً فى معنى : نُؤْت بِه . أى نهضت به متثاقلاً ، وهو شبيه بقولهم : تهيَّبتْنِى البلادُ . اذا تهيَّبتَها ، وكقول الأخطل :

مثل القنافذ هداجون قد بلغت
نجران أو بلغت سوءاتِهم هجر

مقلوب . أراد : قد بلغت سؤاتُهم هجر

ومثل قول الاعشى :

حتى يصير الجمر مثل ترابها » . (٢)

فالأصمعى أورد فيضا من الامثلة المأثورة ، كما استشهد على القلب بآية " القصص " ، وبدا تأثره بسيبويه ، والفراء ، وغيرهما .

خامساً : القلب البلاغى عند الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)

أشار الجاحظ إلى القلب حيث قال :

" وقال سعيد بن عثمان بن عثمان – رحمه الله – لطُويس (٣) المغنى :

---

(١) اقتفى أثره « ابن السكيت » ت ٢٤٤ هـ ، وكتابه بعد نقلاً لكتاب الأصمعى ، . وكذلك أبو حاتم السجستانى وإن كان فى كتابه بعض الجهود .

(٢) كتاب الأضداد عن الأصمعى . صـ ١٥٢ ضمن (ثلاثة كتب فى الأضداد) .

(٣) هو عيسى بن عبد الله – مولى بنى مخزوم . لقب بطاووس ، فلما تخنث لقب بطويس . وفيه ورد المثل : " أشأم من طويس " . وقد مات فى ولاية عبد الملك بن مروان . انظر . (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) صـ ١١٤ .

أينا أسنّ . أنا أم أنت يا طاووس ؟ قال : بلى . بأبى أنت وأمى . لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب " .

فانظر إلى حذقه ، وإلى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل : زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك . وهكذا كان وجه الكلام ، فقلب المعنى " . (١)

فالقلب هنا لاعتبار لطيف راعاه المتكلم ، وهو أن تكون البركة فى جانب الأم ، والطيبة فى جانب الأب ؛ فتثبت لهما البركة ، والطيبة معا . (٢)

سادساً : القلب البلاغى عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)

حفل كتاب " تأويل القرآن " لابن قتيبة بدراسات كثيرة فى اللغة والبيان ، ومنها (القلب) فمن مباحث الكتاب :

" باب المقلوب " (٣) وقد قسمه الى نوعين :

١- قلب فى المعنى : وقد حشد فيه كثيراً من المظاهر اللغوية ، ... كما أدخل فيه بعض أمثلة الاستعارة التبعية .

٢- قلب فى المكان : وقد أطال ابن قتيبة الوقوف عنده ، فدرس القلب البلاغى ، ودافع عن القرآن الكريم ، لأنه يبعد عن القلب ، وكلام الله يتعالى عنه ، كما درس فيه أمثلة كثيرة للتقديم والتأخير . وسنبين ذلك .

أولاً : القلب فى المعنى : وهو يشمل القلب فى معانى الألفاظ ذات العلاقة المشتركة . كالترادف ، والمشترك ، وما يعرف بالنسبية بين الاشياء . وهذه الأنواع لها صلة بمدلولات الألفاظ ، وما يستتبعها من استدعاء المعانى . ولاشك أن هذا من مباحث علم اللغة .

---

(١) البيان والتبين . جـ ١ . صـ ٢٦٣ .

(٢) انظر . المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبين . صـ ٢٤٤ . للأستاذ الدكتور . فوزى السيد عبد ربه .

(٣) تأويل مشكل القرآن . صـ ١٨٥ - ٢٠٩ .

يقول ابن قتيبة : " ومن المقلوب أن يوصف الشيء بضد صفة " ثم ذكر الأنواع التالية :-

١- التطير والتفاؤل ، كقولهم للديغ : سليم ، تطيرا من السقم ، وتفاؤلا باسلامة ، وللفلاة : مفازه ، وهى مهلكة . (١) وهذا يدل على اخلاق العرب ، وما فيها من نزعة التفاؤل تطييباً للقلب بذكر الضد الذى تستريح الى سماعه النفس .

٢- الاستهزاء . ومما مثل به : قولك للرجل تستجهله : يا عاقل ، وتستخفه : يا حلم . ومن هذا قول قوم شعيب له : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (٢) وهذا من الاستعارة العنادية وهى " التى استعملت فى ضد معناها الحقيقى ، أو نقيضه " (٣) للغرض المذكور .

٣- المبالغة فى الوصف كقولهم للشمس : جونة (٤) ؛ لشدة حنوتها ، وللغراب أعور ؛ لحدة بصره . وهذا لا علاقة له بالقلب ، وإنما يفيد المبالغة ، لأن أصل المعنى موجود فيهما .

٤- أن يسمى المتضادان باسم واحد ، والأصل واحد ؛ فيقال للصبح : صريم ، ولليل صريم . قال الله تعالى ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ (٥) أى سوداء كالليل ؛ لأن الليل ينصرم عن النهار ، والنهار ينصرم عن الليل ، ولليل : سُدفة، وللضوء : سدفة ... الخ .

---

(١) انظر كتاب الاضداد عن الاصمعى صـ ٣٨ ، ضمن : (ثلاثة كتب فى الاضداد) . وحاشية الشيخ مخلوف المنياوى . صـ ٩٣ .

(٢) سورة هود " الآية : ٨٧ " . (٣) المطول صـ ٣٦٥ ، انظر . الكشاف . جـ ٢ . صـ ٢٨٧ .

(٤) " ... الجونة : الشمس ؛ لا سوادها إذا غابت . قال : وقد يكون لبياضها وصفائها .. وعرضت على الحجاج درع ، وكانت صافية ، فجعل لا يرى صفاءها . فقال له أنيس الجرمى ، وكان فصيحا : إن الشمس لجونه . يعنى : انها - الدرع شديدة البريق والصفاء ، فقد غلب صفاؤها بياض الدرع " . اللسان : (جون) .

(٥) سورة القلم " الآية : ٢٠ " .

وقد استطرد ابن قتيبة فذكر هنا أمثلة كثيرة .

مثل : « وراء » تكون بمعنى : خلف ، وبمعنى قدَّام، والمواراة ، والتوارى . وهذا من المشترك اللفظى .

٥- النسبية : وهى أن يراد باللفظ معنيان متضادن كل منهما صحيح بالنسبة إلى شئ آخر . ومما مثل به قولهم : للكبير " جلل " وللصغير " جلل " ؛ لأن الصغير قد يكون كبيرا عندما هو أصغر منه ، والكبير يكون صغيراً عندما هو أكبر منه ، فكل منهما صغير وكبير باعتبارما .

هذه الأنواع منها ما يدخل فى علم اللغة ، ومنها ما هو من المجاز ، لا القلب بمعناه البلاغى .

ثانياً : القلب البلاغى . وابن قتيبة يصدره بقوله :

" ومن المقلوب " ليشير إلى أهميته وخطره ، ولذا فقد وقف عنده شارحا ومحللا وناقدا - بيد أنه خلط هذا النوع ببعض أمثلة التقديم والتأخير فقد استشهد بقوله تعالى : ﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ [1] قال : أى مخلف رسله وعده لأن الأخلاف قد يقع بالوعد ، كما يقع بالرسل .. " وقد عدَّه أبو حيان من التقديم والتأخير بين المفعولين . [2]

ويورد ابن قتيبة أمثلة كثيرة للقلب ، فيقول : والعرب تقول : إعرض الناقة على الحوض . تريد اعرض الحوض على الناقة ، لأنك اذا أوردتها الحوض اعترضت بكل واحد منهماصاحبه .. وقال الشماخ :

منه ولدت ولم يؤشب به حسبى

لماً كما عصب العلباء بالعود [3]

وكان الوجه أن يقول : كما عصب العلباء على العود ، فقلب .. وقال

---

(١) سورة إبراهيم " الآية : ٤٧ " . (٢) انظر . البحر المحيط . المجلد الخامس . صـ ٤٣٨ .

(٣) الضمير فى " منه " يعود على جده " جحاش " المذكور فى البيت الذى قبله .

أبو النجم : " قبل دنو الأفق من جوزائه "

وكان الوجه أن يقول : " قبل دنو الجوزاء من الأفق "

فقلب ؛ لأن كل شئ دنا منك فقد دنوت منه " . (١)

وقوله : " لأن كل شيء ... الخ " يشير إلى أنه لا يرى القلب فى هذه الأمثلة ، لأن الشئين اشتركا فى صفة الدنو .

وأخذ ابن قتيبة يورد المثل من القرآن والشعر على هذا النحو الذى يجعل التقديم من القلب ... لما بينهما من ارتباط وتعلق ، وقد انفرد ابن قتيبة بهذا المنهج فى التقديم والتأخير " . (٢) والأمثلة التى أوردها من كلام العرب هى عنده محل نظر ولذا فإنه بين بعد رأيه فيها .

القلب على الغلط :

وثمة نوع منه حمل على الغلط ، إذ لا ضروره تدعو إليه ولا مبرر يقتضيه المعنى أو سياق النص ، ويضرب لذلك أمثله منها قول خداش بن زهير :

وتركب خيل لا هوادة بينها

وتعصى الرماح بالضياطرة الحمر (٣)

أى : تعصى الضياطرة بالرماح . والقلب هنا ليس بلازم ، فيجوز أن يحمل المعنى الاستعارة التبعية كما رأى علماء البيان . (٤)

هل يرى ابن قتيبة أن فى القرآن قلبا ؟

يقول ابن قتيبة : " وكان بعض أصحاب اللغة (٥) يذهب فى قوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ إلى مثل هذا فى القلب. أى

---

(١) تأويل مشكل القرآن . صـ ١٩٥ .

(٢) صور من تطور البيان العربى صـ ٢٠ لاستاذنا الدكتور كامل الخولى . رحمه الله .

(٣) تأويل مشكل القرآن صـ ١٩٨ . الضيطار : اللئيم الخوار ، وفى اللسان : عصى الرجل فى القوم بسيفه ، وعصاه فهو يقصى فيهم إذا عاث فيهم عبثاً .. عصاه يعصوه : إذا ضربه بالعصا .

(٤) انظر مفتاح العلوم . صـ ٢١١ . (٥) يقصد أبا عبيدة ، والفراء ، والأصمعى .

تنهض بها وهى مثقلة . [1] وهذا ما لا يجوز لأحد أن يحكم به على كتاب الله – عز وجل – لو لم يجد له مذهبا ؟ لان الشعراء تقلب اللفظ ، وتزيل الكلام على الغلط ، أو على طريق الضرورة للقافية ، أو لاستقامة وزن البيت " [2] ويضرب أمثلة كثيرة من الشعر منها قول لبيد :

نحن بنو ام البنية الأربعة

ويقول : قال ابن الكلبى : " هم خمسة ؛ فجعلهم أربعة " [3]

كما استشهد بقول شاعر يصف إبلا :

صبحن من كاظمة الخُص الخرب

يحملن عباس بن عبد المطلب

أراد : عبد اله بن عباس " فذكر أباه مكانه " [4]

وعلى هذا النحو جعل ابن قتيبة يورد الشواهد ويبين ما فيها من الغلط، ولكنه يعتذر عن استقصائها كى لا يطول الكتاب .

ثم شرع يطبق رأيه بذكر الآية الكريمة ، ويستشهد بآراء المفسرين وبعض خيار السلف – رحمهم الله تعالى – ومن ذلك قوله : وأراد بقوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ أى : تميلها من ثقلها [5] . فعلى هذا الباء فى (بالعصبة) للملابسة . بمعنى أن المفاتح تثقل مع العصبة ؛ لشدة ثقلها، وليست للسببية .

ويقول : " وقال بعض المفسرين فى قوله : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [6] أى اجعلنا نقتدى بمن قبلنا حتى يقتدى بنا من بعدنا ؛ فهم على هذا التأويل متَّبعون ومتَّبعون " . [7]

---

(١) تأويل مشكل القرآن . صـ ١٩٩ .
(٢) المرجع السابق . صـ ٢٠٠ .
(٣) انظر . المعارف . لابن قتيبة صـ ٨٩ ، ومجالس ثعلب . القسم الثانى صـ ٣٧٤ .
(٤) تأويل مشكل القرآن . صـ ٢٠٠ ، وانظر . المعارف . صـ ٨٩ .
(٥) تأويل مشكل القرآن . صـ ٢٠٣ ، وانظر . البحر المحيط . جـ ٧ . صـ ١٣٢ .
(٦) سورة الفرقان " الآية : ٧٤ " .
(٧) تأويل مشكل القرآن . صـ ٢٠٥ – ٢٠٩ .

ومع أواخر الباب يعود ابن قتيبة إلى ذكر أمثلة للتقديم والتأخير فهذا عنده من المقلوب ، ومما أورده قوله تعالى : ﴿ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾ (١) يقول : " أى بشرناها بإسحاق فضحكت " . (٢)

واخيراً فالقلب عند ابن قتيبة نوعان :

١- قلب فى المعنى ، وهو يصدق على بعض المباحث اللغوية : كالترادف والمشترك .. كما يدخل فيه بعض أمثلة الاستعارة التصريحية العنادية .

٢- قلب فى المكان . ويصدق على ما عرف بالقلب البلاغى ، وقد أدخل فيه أمثله من التقديم والتأخير .

وابن قتيبة يسلم بالقلب فى الشعر إذا وافق قواعد اللغة والعرف ، فإذا خالف أحدهما فإنه يحمل على الغلط ، أو الضرورة .

ولكنه ينكر القلب فى القرآن الكريم ، ويؤول الآيات التى عدت من القلب تأويلاً يبعدها عنه .

سابعاً : القلب البلاغى عند المبرد (ت ٢٨٥ هـ)

وننتقل إلى ابى العباس محمد بن يزيد المبرد إمام العربية فى زمانه لنتعرف على الجديد عنده فى بحثنا من خلال بعض مؤلفاته .

أولاً : كتاب : " ما أنفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد " وهو يعد بحثا فى فقه اللغة حيث حوى بحوثاً ذات صلة باللفظ المفرد مثل : الترادف ، وغيره مع بيان الفروق الدقيقة بين بعض الأشياء ، غير أنه عُد المشاكلة ، والتحويل من البديع ، ولم نجد أحدا سواه قال بذلك .

قال : " ومما فى القرآن مما يجئ مثله فى كلام العرب من التحويل كقوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح ، ومن كلام العرب : إن فلان لتنوء بها عجيزتها ،

---

(١) سورة هود " الآية : ٧١ " .

(٢) تأويل مشكل القرآن . صـ ٢٠٥ .

ويقولون : أدخلت القلنسوة فى رأسى، وأدخلت الخف فى رجلى ، ويكون مثل هذا فيما لا يكون فيه لبس ، ولا إشكال ، ولاوهم ومن كلام العرب قول الإخطل :

أما كليب بن يربوع فليس لهم
عند التفاخر إيراد ولا صدر
مخلفون ويقضي الناس أمرهم
وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا
مثل القنافذ هذا جون قد بلغت
نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

كذا رواه أبو عبيدة ، وغيره مما أخذنا عنه . (١)

فقد تأثر المبرد بكل من أبى عبيدة ، والفراء (٢) فى تسمية القلب بالتحويل ، وهو جائز عند المبرد بشرط أمن اللبس .

ثانياً : " كتاب المقتضب " وجعله المبرد خالصا للنحو والصرف ، وفيه يقول : " اعلم أن الشعراء يضطرون ؛ فيجعلون الاسم نكرة ، والخبر معرفة ، وإنما حملهم على ذلك معرفتهم أن الاسم والخبر يرجعان إلى شئ واحد . فمن ذلك قول حسان :

كأن سُلافة من بيت رأسٍ
يكون مزاجها عسلٌ وماءُ

وكان " المازنى " يروى : " يكون مزاجها عسلا وماء " يريد : وفيه ماء . وقال القطامى :

قفى قبل التفرق يا ضُباعا
ولا يك موقف منك الوداعا (٣)

---

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد . نقلاً عن "صور من تطور البيان العربى ". صـ٢٢

(٢) انظر . مجاز القرآن . جـ ١ صـ ٦٤ ، ومعانى القرآن . جـ ٢ . صـ ١٢ .

(٣) كتاب المقتضب . جـ ٤ . صـ ٩١ - ٩٣ .

فقد بين المبرد ان ضرورة الشعر تجيز جعل اسم كان نكرة ، وخبرها معرفة – بالحمل على القلب [1] – ؛ اذ لا لبس ويكون التقدير : ولايك موقفـ منك الوداعا . وقد ذكرت تقديرات العلماء فيه فى المبحث الرابع . [2]

ثالثاً : " كتاب الكامل فى اللغة . والأدب " وهو موسوعة من موسوعات تراثنا العربى ، وقد حفل بالكثير من مسائل البيان العربى ، ومنها : " القلب " حيث ورد الحديث عن القلب فيـه فى غيـر موضع وعلى سبيل تداعى الأفكار، أو شرح المسائل اللغوية أو الادبية من خلال تحليله للنص الادبى ، وذلك فى أسلوب علمى واضح ، لا لبس فيه ولا غموض .

والمبرد يجيز القلب للاختصار ، وبشرط أمن اللبس وقد انفرد بجعل " الاختصار " غرضا له ، الامر الذى عرضه لنقد الآمدى كما سنبين بعد ، وهذه بعض الأمثله .

١– فى بيانه لمعنى الفعل : " ينوء " من قول النمر بن تولب :

يود الفتي بعد اعتدال وصحة ينوء اذا رام القيام وينهض

يقـول : " قـوله ينوء اذا رام القيـام " .. ينهض فى تثـاقل . قـال الله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ ﴾ والمعنى :

إن العـــصـــبـــة تنوء مـــفـــاتح

ولشـــرح هذا مـــوضع آخـــر [3]

٢– ويعود المبرد إلى هذه الآية ويبين شرط صحة القلب فيقول : "... والكلام إذا لـم يدخـله لبـس جـاز القـلب ، للاختصار . قال الله عز وجل : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ ﴾ والعصبة تنوء بالمفـاتيح . أى تستقل بهـا فى ثقل . ومن كـلام العرب : ان فـلانه لتنوء بـها

---

(١) وانظر . المفصل . جـ ٢ . صـ ١٥٧ ، ومغنى اللبيب . جـ ٢ . صـ ١٩٩ .

(٢) انظر . صـ ٦٨ .

(٣) الكامل فى اللغة والأدب . جـ١ . صـ ٢١٧ .

عجيزتها، والمعنى : لتنوء بعجيزتها " [1] . أى تثقل بسببها .

٣- ويـعود إلى الآية الكريمة مرة ثالثة ، ويذكر نفس الكلام ، ويقول : " وقد مضى تفسير هذا " [2] .

٤- ويقول فى موضع آخر : " وقال المفسرون والنحويون [3] فى قول الله - عـز وجل - : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [4] . أى لشـديد من أجل حب الخير والتقدير - والله أعلم - إنه لبخيل من أجل حبه للمال " .

وقد ذكر المبرد القلب بين الحروف فى الكلمتين ، فقد روى البيت التالى :

فَر عبد العزيز إذْ راء عيسي

وأيـــن دواد نـــازلا قـــطـــريـــا

ثم قال : " قوله : " إذ راء عيسى " الأصل : رأى ، ولكنه قلب ، فقدم الألف وأخر الهمزة ... والقلب كثير فى كلام العرب .. " [5] .

وهذا النوع موضعه علم الصرف ؛ لأنه بين حروف الكلمتين .

فالمبرد عَّد القلب من البديع وهو جائز حيث لا لبس ، ولا غموض ، ولا إشكال ، ولاوهم ، ويجوز فى ضرورة الشعر ، غير ان قوله " للاختصار " لم يقل به أحد ، ومن ثم تعرض لنقد الآمدى وقد بينت ذلك أثناء دراسته .

ثامناً : القلب البلاغى عند قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ)

ولقدامة بن جعفر الكاتب البغدادى مصنفات أهمها : (نقد الشعر) وقد درس فيه محاسنه ، وعيوبه ... الخ . وهذه العيوب [6] هى : عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى والوزن ، وعيوب ائتلاف المعنى القافية وعَّد من عيوب ائتلاف المعنى والوزن معاً : " المقلوب " .

---

(١) نفس المرجع . جـ ١ . صـ ٣٦٩ .

(٢) المرجع السابق جـ ٣ . صـ ٣٧٣ .

(٣) انظر . مجاز القرآن . جـ ٢ . صـ ٣٠٧ .

(٤) سورة العاديات " الآية : ٨ " ، انظر . الكامل . جـ ٣ . صـ ٢٨٥ .

(٥) المرجع السابق . جـ ١ . صـ ٣٦ ، وانظر . المزهر . جـ ١ . صـ ٤٧٦ .

(٦) نقد الشعر : من صـ ١٧١ حتى آخر الكتاب ، انظر . قدامه بن جعفر النقد الأدبى . صـ ٣١٩ .

وقد بينه بقوله : " وهو أن يضطر الشاعر إلى إحالة المعنى وقلبه إلى خلاف ما قصد به . مثال ذلك لعروة بن الورد :

فلو أني شـــهـــدت ابا ســـعـــاد
غـداة غـدا بمهـجـمـتـه يفـوُق
فـديت بنفـســه نفـسي مـالي
ومـا آلـوك [1] الا مـا أطيـق

أراد أن يقول : فديت نفسه بنفسي ، فقلب المعنى . وللحطيئة :

فلما خشيت الهون والعير ممسك
علي رغمه ما أمسك الحبل حافره

أراد : الحبَل حافرُه ، فانقلب المعنى [2] .

فقدامة – مع أنه لم يعرض للنص القرآنى – يرى القلب بجملته عيبا له خطره على المعنى والوزن فى الشعر فبيت " عروة " يوهم خلاف المراد ، وقد ردَّه بعض العلماء [3] وأرى أن لا إيهام فيه ، بقرينة المدح التى تجعل الشاعر يدَّعى فداء ممدوحه بنفسه وماله ، وكذا فى بيت الحطيئة ، لأن الحبل هو الذى يمسك غيره على أية حال ، فالقلب مقبول فيهما .

ولعل المنهج العقلى الذى خطه قدامه ، وما تبعه من سيطرة الروح العلمى ، والتزام صاحبه بمنهج " أرسطو " وما ترتب عليه من كثرة التحديد والتقسيم ، ثم من البحث عن الأمثلة الكثيرة التى توضح منهجه هو الذى ألجأه إلى ذلك .

وتبع قدامة فى هذا المنهج كل من : المرزبانى ، وابن سنان الخفاجى ، وحازم الأنصارى ، وابن حجة الحموى . وسنشير إلى كل من : المرزبانى ، وابن حجة هنا ؛ إذ لا جهد لهما يذكر فى موضوعنا .

---

(١) ما آلوك : لم أقصر فيك .

(٢) نق الشعر . صـ ٢٠٩ ، انظر الوساطة : صـ ٢١٩ ، الموازنة . جـ ١ . صـ ٢١٩ .

(٣) انظر . نقد الشعر ص ٢٠٩ ، وسر الفصاحة ص ١٠٦ .

١- فأما أبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى (ت ٣٨٤ هـ) الإخبارى الثقة فإن له الكثير من المصنفات منها " الموشح مآخذ العلماء على الشعراء " وهو ينقل فيه ما قاله " قدامة " مع تصرف يسير ثم يزيدنا مثالا ، فيقول : " ... ومثله للمجنون :

يضم إلي الليل أطفال حبكم
كما ضم أزرار القميض النبائق

أراد : كما ضم البنائق أزرار القميص " (١) .

والبيت يحتمل القلب ، وغيره وسنبين ذلك إن شاء الله فى المبحث التالى .

٢- وأما ابن حجة الحموى (٢) فإنه عَدَّ من العيوب : ائتلاف المعنى مع الوزن وأن الشاعر إذا اضطر إلى قلب المعانى عن وجهها مراعاة للوزن كان معيبا ، واستشهد ببيت " عروة " السابق . (٣)

تاسعاً : القلب البلاغى عند الآمدى (ت ٣٧١ هـ)

ولأبى القاسى الآمدى كتاب " الموازنة بين أبى تمام والبحترى " وقد ذكر فيه : القلب " أثناء ذكره لأخطاء أبى تمام . الواحد تلو الآخر ، ومحاولته إيراد الافتراضات لتبريرها ، ولكنه يكر عليها بالنقص . وقد جاء كلامه فى موضوعنا على الوجه التالى :

« - ١٩ ومن خطائه أيضاً قوله :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا
وكفى على رزئي بذاك شهيدا

---

(١) الموشح مآخذ العلماء على الشعراء صـ ١٠٩ .
" البَنِقةُ والبَنِيقَةُ : رقعة تكون فى الثوب كاللبنة ونحوها ... وقيل : البنِيقَةُ : لبنة القميص ، والجمع بنائق وبنيق ، الأطفال أراد بها الشاعر : الاحزان المتولدة عن الحب " . اللسان : (بنق) .
(٢) هو أبو بكر على بن محمد تقى الدين (ت ٨٣٧ هـ) من مصنفاته : خزانة الأدب .
(٣) انظر . الخزانة . جـ ٢ . صـ ٤٤٤ .

أراد : وكفى بأنه مضى حميدا على أنى رزئت .

وكان وجه الكلام أن يقول : وكفى برزئى شاهدا على أنه مضى حميدا ؛ لأن حميدا من الطلل قد مضى ، وليس بشاهد ولا معلوم ، ورزؤه بما يظهر تفجعه ، مشاهد معلوم ؛ فلأن يكون الحاضر شاهدا على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهدا على الحاضر " (١) .

فالآمدى يلجأ فى بيان المراد إلى العقل والعرف ، ثم يفترض بعض الاعتراضات ، ويتولى الإجابة عليها . ومنها قوله :

" فإن قيل : هذا إنما جاء على القلب .

قيل : المتأخر لا يرخص له فى القلب ؛ لأن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو ، والمتأخر إنما يحتذى على أمثلتهم ، ويقتدى بهم ، وليس ينبغى له أن يتبعهم فيما سهوا فيه .

فإن قيل : فقد جاء القلب فى القرآن ، ولا يجوز أن يقال : إن ذلك على السهو ، ولا الضرورة ؛ لأن كلام الله - عز وجل - يتعالى عن ذلك ، وهو قوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ ﴾ وإنما العصبة تنهض بالمفاتيح . أى تنهض بثقلها ، وقال - عز وجل - (ثم دَنَا فَتدلَّى) وإنما هو : ثم تدلى فدنا .... " (٢) .

وفى النهاية يلزمه بأن القلب ثابت فى البيت ، وأنه مستكرة ، ومعيب .

فمجمل رأى الآمدى :

١- القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو ، أو الضرورة ، فلا ينبغى للمتأخر أن يتبعهم فى ذلك ؛ لأنه يحتذى على أمثلتهم الصحيحة .

والقلب الذى ورد عن العرب نوعان :

أ- قلب سائغ حسن .

---

(١) هو أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى . انتهت إليه رواية الشعر والأخبار بالبصرة له كثير من المصنفات . توفى ٣٧١ هـ .

(٢) الموازنة . جـ ١ . صـ ٢١٦ : ٢١٨ .

ب- قلب قبيح ، وهو ما كان على سبيل الغلط .... فيجب ألا يحتذى .

٢- القرآن الكريم كلام الله تعالى ، وهو يتعالى عن القلب ، وما حمل منه على القلب يجب تأويله بما يتفق والنظم القرآنى .

عاشراً : القلب البلاغى عند أبى على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) (١)

ولأبى على الكثير من المؤلفات . وسنبين ما جاء من القلب - عنده - على ضوء كتابى : " الحجة فى علل القراءات السبع " ، و " كتاب الشعر " له ، وما ورد فى غيرهما .

أولاً : كتاب الحجة

قال أبو على : " أما قول الفرزوق :

وبت أفض أغـــلاق الخـــتـــام

فكأنه من المقلوب . أى أفض ختام الأغلاق ، والاقفال المختوم عليها إنما يفض الختم الذى عليها ... وفى التنزيل : ﴿ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾ (٢) .

أى : يبقى رسول الله - ﷺ - بلا أنصار ، ولا أتباع " (٣) .

وفيما ذكره الفارسى تصريح بأن البيت جاء على القلب ، شأنه فى ذلك شأن قولهم : عرضت الناقة على الحوض (٤) .

فالقلب قد جرى بين المضاف ، والمضاف إليه ، وهما كالشئ الواحد ، ولعل هذا هو جعل أبو على يقول : " فكأنه من المقلوب " .

ثانياً : " كتاب الشعر " ومما جاء فيه

أ- " باب مما قلب الكلام فيه عن الحد الذى ينبغى أن يكون عليه "

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد الفارسى . كنيته "أبو على" رحل الى بلاد كثيرة طلب العلم ، وكتب الكثير من المؤلفات . توفى ٣٧٧ هـ .

(٢) سورة المنافقون " الآية : ٧ " .

(٣) الحجة فى علل القراءات السبع . الجزء الثانى . صـ ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٤) البحث عند أبى على الفارسى وأثره فى الدراسات البلاغية . صـ ٢٢٨ . للأستاذ الدكتور . فوزى السيد عبد ربه .

يقول أبو على : " ... وقال أبو الحسن : تقول : عرضت الناقة على الحوض ، وعرضتها الماء ، وإنما يريدون : عرضت الماء عليها . قال الحطيئة :

فلما خشيت الهون والعير ممسك

على رغمه ما أمسك الحبل حافره

التقدير : ما أمسك الحبل حافره ، وحكى سيبويه : تهيتُّبْنى البلاد ؛ فيكون معناه القلب على تأويل أبى الحسن" [1] وقد ذكر أبو على أمثلة كثيرة.

ب- وقال فى موضع آخر :

" قوله :

ورفَّعَ الآلُ رأسَ الكلْبِ فارتفعَا [2]

المعنى : رفع الآل هذه الهضبة ، فترفعت . ومن ذلك قوله :

إذا الشخص فيها هزَّها الآل أُغمضت

علَيه كإنما من المقضَّى هجولها

هجولها : فاعل أغمضت ، والهجل : بطن من الأرض . المعنى : أنه جعل استبانة الشخص فيه بمنزلة إغماض العين على الشئ .. والمعنى يرفعُه الآل ، فقلب ، كقوله .

مثل القنافذ هدا جون قد بلغت

نجران أو بلغت سوءاتهم هجر [3]

ويقول المنتجب الهمذانى [4] عند قوله تعالى : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ [5] :

---

(١) كتاب الشعر . الجزء الأول . صـ ٥ .

(٢) هذا عجز بيت للأعشى ، وروايته بالديوان . صـ ١٠٣ .

إذْ نظرت نظرة ليستْ بكاذبة . إذْ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا الآل : السراب ، وفاعل "نظرت" ضمير على "عنز" اليمامة التى نظرت جيش الاعداء من مسيرة ثلاث ليال ، فحذرت قومها ، فلم يصد قوها ، فداهمهم الاعداء . انظر . الخصائص . جـ ١ . صـ ١٣٥ .

(٣) كتاب الشعر . جـ ١ . صـ ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٤) هو منتجب الدين حسين بن أبى العز رشيد الدين يعقوب الهمذانى ولد بهمذان فى أسرة عريقة ، يكنى أبا يوسف ، ولقبه : المنتجب عاش فى " دمشق " زمناً . توفى ٦٤٣ هـ .

(٥) سورة " هود : ٢٨ " .

وقد جوز " أبو على " أن يكون من المقلوب . أى عميتم عنها ؛ لأن الرحمة لا تعمى " وإنما يُعمى عنها ؛ فيكون هذا كقولهم : أدخلت القلنسوة فى رأسى ، وما أشبه هذا مما يقلب ، إذا لم يكن فيه ليس " (١).

وقد بينت أن هذا من باب المبنى للمفعول بعد حذف الفاعل ، وليس من القلب البلاغى . (٢)

فأبو على يجوز القلب البلاغى ؛ حيث لا لبس ، وهو يؤيد رأيه بما ورد عن العرب ، وعلماء اللغة ، ويسترسل فى توضيح رأيه .

حادى عشر : القلب البلاغى عن ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ)

ولأبى الفتح عثمان بن جنى مؤلفات كثيرة ، نذكر ما جاء بخصوص القلب فى كتابيه : الخصائص ، والمحتسب .

أولاً : الخصائص :

ومن أبوابه : (باب الأصلين يتقاربان فى التركيب بالتقديم والتأخير) (٣) وذلك عند اتفاق الكلمتين فى الحروف ، فيبدو أن أحداهما منقلبة عن الأخرى .

وقد وضع ابن جنى قاعدة يعرف بها حال كل منهما من حيث الأصالة ، أو القلب . وهى : الاشتقاق الكامل .

فإذا قبلت الكلمتان التصريف الكامل كاننا أصليتين ، أما إذا قبلت إحداهما هذا دون الأخرى فإن الثانية تكون منقلبة عن الأولى . وقد ضرب أمثلة كثيرة لتوضيح هذه القاعدة . فيقول :

" ... فمما تركيباه أصلا ، لا قلب فيهما قولهم : جذب ، وجبذ ، ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ، وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً

---

(١) الفريد فى إعراب القرآن المجيد . القسم الدراسى . صـ ٤٥٢ للاستاذ الدكتور . فهمى حسن النمر .

(٢) انظر . القلب البلاغى عند الفراء صـ ٢٠ . والبحر المحيط . المجلد الخامس . صـ ٢١٦ .

(٣) انظر . الخصائص . جـ ٢ . صـ ٦٩ .

نحو : جذب ، يجذب ، جذبا فهو جاذب ، والمفعول مجذوب – وجبذ ، يجبذ ، جبذاً ، فهو جابذ ، والمفعول مجبوذ . فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك . (١)

ثم يبين التصريف الناقص ، والذى هو محل القلب ، فيقول : " فإن قصر أحدهما عن تصريف صاحبه ، ولم يساوه كان أوسعهما تصرفا أصلا لصاحبه ، وذلك قولهم : أنى الشئ يأنِى ، وآن ، يئين . فـ "آن" مقلوب عن : " أنى " ، والدليل على ذلك ، وجودك مصدر : أنى يأنى ، وهو الإتى – ولا تجد لـ " آن " مصدراً .. " وقد ضرب هنا أمثلة كثيرة منها : أيست ، يئست ، وامضحل ، واضمحل . وبين أن الأول فى كل منهما مقلوب عن صاحبه لأن له مصدرا . (٢)

وهذا النوع بفرعية قلب لغوى ، وهو ليس مجال بحثنا ، لأن القلب فيه بين الحروف .

الإخبار بالمصدر يفيد المبالغة :

ويبين أبو الفتح أن المصدر يفيد من المبالغة في ذلك ما لا يفيده القلب، فإذا اوقع خبرا عن مبتدأ ، فكأنك وصفته بجمع الجنس مبالغة ، فكان أبلغ ، ويورد كثيراً من الشواهد ، ومما قال :" ... وذلك نحو قوله أنشده أبو على :

ألا أصبحت أسماء جاذمة الحبل
وضنت علينا والضنين من البخل

فهذا كقولك : هو مجبول من الكرم ، وهذا أوفق معنى من أن تحمله على القلب ، وأن يريد به : والبخل من الضنين ؛ لأن فيه من الإعظام والمبالغة ما ليس فى القلب ...

ويكفيك من هذا كله قول الله – عز وجل – ﴿ خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (٣) وذلك لكثرة فعله إياه ، واعتياده له ، وهذا أقوى معنى أن يكون

---

(١) المرجع السابق . جـ ٢ . صـ ٧٠ .
(٢) المرجع السابق . جـ ٢ . صـ ٧٠ – ٧٤ .
(٣) سورة الأنبياء " الآية : ٣٧ " .

أراد : خلق العجَل من الإنسان ؟ لأنه أمر قد اطردوا تسع ؟ فحمله على القلب يبعد في الصنعة ويصغر المعنى ، وكأن هذا الموضع لما خفى على بعضهم قال في تأويله : إن العجل هنا : الطين ، ولعمرى إنه في اللغة [1] كما ذكر ، غير أنه في هذا الموضع لا يراد به إلا نفس العجلة ، والسرعة . ألا تراه - عز وجل اسمه - كيف عقبه : ﴿ سأريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾ ، فنظير قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ [2] ، و ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [3] ؛ لأن العجلة ضرب من الضعف ؛ لما تؤذن به من الضرورة والحاجة " . [4]

وفي (باب الاكتفاء لسبب عن المسبب) يقول ابن جني : " هذا موضع من العربية شريف لطيف ، وواسع لمتأمله كثير ... فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [5] وتأويله - والله أعلم - فإذا أردتت قراءة القرآن ؛ فاكتفى بالمسبب .

وهذا أولى من تأويل من ذهب إلى أنه أراد : فإذا استعذت فاقرأ [6] ؛ لأن فيه قلبا ، لا ضرورة بك إليه ، وأيضاً فإنه ليس كل مستعيذ بالله واجبة عليه القراءة " وقد ذكرها هنا أمثلة كثيرة .

ويفاد من كلام " ابن جني " أن حمل الآية على " المجاز المرسل " أحسن من الحمل على " القلب " . وقد عقب الإمام البخاري - رحمه الله - الآية بقوله : " هذا مقدم ومؤخر ، وذلك أن الاستعاذة قبل القراءة ، ومعناها : الاعتصام بالله " [7] .

ثانياً : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات

ذهب ابن جني فيه إلى القول بالقلب، للاتساع ، وهو -عنده - واجب ،

---

(١) انظر اللسان (عجل) ، حاشية الشهاب . المجلد السادس . صـ ٢٢٥ .
(٢) سورة الإسراء " الآية : ١١ " . (٣) سورة النساء " الاية : ٢٨ " .
(٤) الخصائص . جـ ٢ . صـ ٢٠٢ . (٥) سورة النحل " الآية : ٩٨ " .
(٦) انظر صحيح البخاري . الجزء السادس . كتاب التفسير .
(٧) تفسير سورة النحل صـ ١٠٣ .

وحسن وجائز ، ويستهشد بالنصوص الكثيرة ففى قوله تعالى : ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ (١) يقول : " قال ابن مجاهد : وما أدرى ما هذا ؟ قال أبو الفتح : هذا الذى تبشع على ابن مجاهد حتى أنكره من هذه القراءة صحيح وواضح ، وذلك أنه أسند الى الفعل الثانى حتى كأنه فى الأصل : وحُمِّلنا قدرتنا أو ملكا من ملائكتنا ، أو نحو ذلك – الأرض ثم أسند الفعل إلى المفعول الثانى ، فبُنى له . فقيل : فحُملت الأرضُ ، ولو جئت بالمفعول الأول لأسندت الفعل إليه فعلت : وحُمِّلت قدرتُنا الأرض .. فإن أقمت المفعول الأول مقام الفاعل قلت : ألبست الجبةُ زيداً – على طريق القلب ، للاتساع ، وارتفاع الشك .

فإذا جاز على هذا أن تقول : حُملت الأرض الملكَ ، فتقيم الأرض مقام الفاعل مع ذكر المفعول الأول فما ظنك بجواز ذلك وحسنه ، بل بوجوبه إذا حذف المفعول الأول ؟ ... ورحم الله ابن مجاهد ! فلقد كان كبيراً فى موضعه مسلماً فيما لم يمهر به " (٢)

٢– وفى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا ﴾ (٣) يقول : "ومن ذلك قراءة طلحة بن مصرف : «أُكْتُتِبَها» بضم الألف والتاء ، وكسر الثانية . قال أبو الفتح : ... وهو على القلب . أى : استُكْتِبتْ له . ومثله فى القلب قراءة من قرأ :

" قُدِّروها تقديراً . (٤)

أى : قُدِّرتْ لهم – والقلب باب واسع وشواهده كثيرة منها قولهم :

أو بلغت سوءاتهم هجر ... " . (٥)

قال أبو حيان : " هى قراءة : علىّ ، وابن عباس ، والسلمىّ ، والشعبى، وقتادة وغيرهم : قُدروها . مبنياً للمفعول قال أبو على : كأن اللفظ

---

(١) سورة الحاقة . الآية ١٤٠ .
(٢) المحتسب جـ ٢ صـ ٣٢٨ .
(٣) سورة الفرقان . الآية : ٥ .
(٤) سورة الإنسان . الآية : ١٦ .
(٥) المحتسب . جـ ٢ صـ ١١٦ ، ٢١٧ .

: قدَّرُوا عليها ، وفى المعنى قلب ، لأن حقيقة المعنى أن يقال : قدرّت عليهم ، فهو مثل قوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ ومثل قول العرب :

اذا طـلـعـت الجـــــــــوزاء

ألقي العـــود علي الحـــرباء (١)

فابن جنى لايزال على مبدئه من التمسك بعدم القول بالقلب فى القرآن مالم تدع إليه ضرورة .

واذا كان قد قال فى المحتسب بجواز القلب وحسنة ، بل بوجوبه للاتساع ، فهذا من القراءة الشاذة عملا بقواعد اللغة توصلا إلى المعنى . ومن المعلوم أن القراءة الشاذة ليست قرآنا ، ولا تصح الصلاة بها ، ولكن ينتفع بها فى معنى النص القرآنى .

على أن ما هنا من بناء الجملة لنائب الفاعل . وبسببه تحول المعنى اليه ، وليس من القلب البلاغى .

ثانى عشر : القلب البلاغى عند ابن فارس (٣٩٥ هـ)

عقد ابن فارس فى كتاب : (الصاحبى) بابا أسماه : (باب القلب) بدأه بقوله : " ومن سنن العرب : القلب ، وذلك يكون في الكلمة ، ويكون فى القصة . فأما الكلمة ، فقولهم : " جذب ، وجبذ " ، و " بكل ، ولبك " (٢) وهو كثير . وقد صنفه علماء اللغة ، وليس من هذا – فيما أظن من كتاب الله – جل ثناؤه – شيء .

فقد بين أن القلب من سنن العرب فى كلامهم ، وهو يكون فى الكلمة كما قال ابن جنى وهذا بعيد عن موضوعنا ، ومجاله علم اللغة .

أما النوع الثانى ويكون فى القصة . أى فى الكلام المفيد فقد ذكر له الأمثلة ، واقتصر على موضع الشاهد ، كما استشهد بمثالين من القرآن

---

(١) انظر المحيط . المجلد الثامن . صـ ٣٩٧ .

(٢) بكل . معناها : خلط . ومن أمثلتهم : " بُكلُ من البكلَ " وهو اختلاط الرأى . اللسان : (بكل) .

الكريم ووقف عند أحدهما مبيناً وشارحاً معنى القلب .

يقول ابن فارس : " وأما الذى فى غير الكلمات فقولهم :

كما عصب العلباء بالعود

.....

ويقولون : أدخلت الخاتم فى إصبعى ... "

وفى قوله تعالى : ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ [1] يقول :

" ومعلوم أن التحريم لا يقع إلا على من يلزمه الأمر والنهى ، وإذا كان كذلك ، فالمعنى : وحرمنا على المراضع أن ترضعه ، ووجه تحريم إرضاعه . عليهن : أن لا يقبل إرضاعهن حتى يرد إلى أمه " . [2]

فقد ذكر ابن فارس أن القلب من سنن العرب ، وأشار إلى القلب بمعناه اللغوى ، ومثل القلب البلاغى ، ولكنه لم يشر الى غرض ، أو يبدى رأيه .

ثالثاً : القلب البلاغى عند الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)

ألف الشريف المرتضى كتابه : (أمالى المرتضى) وجعله مجالس لدراسة آيات من كتاب الله أثير حولها كثير من الجدل والخلاف . وأسلوبه علمى منطقى ، والمؤلف يكثر من الاستشهاد بكلام العرب .

وأما عن موضوعنا فإن المؤلف لا يقول بالقلب فى القرآن الكريم مادام المعنى يستقيم بدونه ، فقد عقد مجلسا بعنوان :

(مجلس آخر . تأويل آية)

وبدأه بقوله : " إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : ﴿ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [3]

---

(١) سورة القصص . الآية : ١٢ .

(٢) الصاحبى . ص ٣٣١ .

(٣) سورة الأنبياء الآية : ٣٧ .

الجواب : قيل له : قد ذكر فى هذه الآية وجوده من التأويل نحن تذكرها ، ونرجح الأرجح منها .

الأول : أن يكون معنى القول : المبالغة فى وصف الإنسان بكثرة العجلة ، وأنه شديد الاستعجال ؛ لما يؤثره من الأمور ، لهج باستدناء ما يجلب اليه نفعاً ، أو يدفع عنه ضرراً ، ولهم عادة فى استعمال هذه اللفظة عند المبالغة ، كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خلقت إلا من نوْم ، وما خلق فلان إلا من شر ، إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه .

ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى : ﴿ وكان الإنسان عجولا ﴾ ويطابقه أيضاً قوله تعالى : ﴿ فلا تستعجلون ﴾ ؛ لأنه وصفهم بكثرة العجلة ، وأن من شأنهم فعلها . توبيخا لهم وتقريعا ، ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم فى الاستعجال ، وقادرين على التثبت والتأيد " . (١)

وثانيها : ما أجاب به أبو عبيدة ، وقطر بـ بن المستنير (٢) وغيرهما من أن فى الكلام قلبا ، والمعنى : خلق العجل من الانسان ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ (٣) أى : بلغت الكبر ... وتقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، وإنما هو : عرضت الحوض على الناقة .. وبقول الآخر :

علي العبّارات هداجون قد بلغت
نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

والمعنى أن السوءات هى التى بلغت هجر " (٤) إلى غير ذلك من الشواهد التى ذكرها .

---

(١) أمالى المرتضى جـ ١ . صـ ٤٦٥ .

(٢) هو أبو على محمد بن المستنير . نشأ بالبصرة ، وتلقى عن سيبويه وغيره له تصانيف كثيرة . توفى ٢٠٦ هـ .

(٣) من الآية ٤٠ سورة آل عمران .

(٤) أمالى المرتضى . جـ ١ . صـ ٤٦٥ .

فالمرتضى يرجح القول بالمبالغة ، وهو ما ذهب إليه ابن جنى فى الخصائص وأنه المناسب للغرض من الآية الكريمة ، ويعين على ذلك السياق، وبعض الآيات الأخرى ، كما يرشد إلى ترجيح هذا الرأى كلام العرب .

وأما القول بالقلب فإن الشريف يرده ، فمع أنه استرسل فى ذكر شواهد القلب إلا أنه كرَّ عليها بالنقض ، وكان مقنعاً فى جدله حيث انتهى مع هؤلاء من حيث بدأ ، وأن المعنى على المبالغة وإذاً فلم القول بالقلب ؟! .

هذا إلى أنه بين أن القول بالقلب تجوز على تجوز وتوسع على توسع .. والقلب بعد من بعيد المجاز . (١)

ثم أورد أجوبة أخرى للعلماء تتلخص فى أن المراد بـ (عجل) فى الآية الكريمة : الضعف ، أو أن المراد بالإنسان : الطين ، أو أنه " آدم " عليه السلام ، ويكون معنى (عجل) هنا : السرعة ؛ لأن الله – تعالى – ابتدأه ابتداء ، فكأن هذا تنبيه على الآية العجيبة فى خلق الله له . والمؤلف فى هذه الأجوبة جميعها يستشهد بالمأثور شعراً ونثراً .

بيد أن " المرتضى " رجح القول بالمبالغة ، ودعم هذا الرأى بالأمثلة الكثيرة ، وبسياق الآية الكريمة ، وسلك طريق الجدل والحوار فى الإقناع والإفادة .

فالمرتضى صنف آراء السابقين ورجح ما رآه مناسباً للنص القرآنى ، وهو القلب بعدم القلب .

وأمانته العلمية جعلته بذكر الآراء التى انتهت إليه ، ومنها القلب . ولكنه ينبه على أنه مرجوح . والمرتضى يستفرغ جهده فى مناقشة مالا يرتضيه من الآراء .

---

(١) أمالى المرتضى جـ ١ . صـ ٤٦٥ .

رابع عشر : القلب البلاغى عند ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) [١]

وفى عصر ازدهار البلاغة نذهب إلى ابن سنان لنعرف رأيه فى كتاب: (سر الفصاحة) . والكتاب نفيس فى موضوعه ، وقد ذكر فيه أنواعا كثيرة تختص بتأليف الكلام ، ليكون مستقيما ، حيث بدأها بالتقديم والتأخير الذى يؤدى إلى فساد المعنى ، وهو ما عرف - بالتعقيد اللفظى - ثم أتبعه بالكلام عن (المقلوب) حيث قال :

" ومن وضع الألفاظ موضعها : ألا يكون الكلام مقلوباً ؛ فيفسد المعني، ويصرفه عن وجهه ، ولذلك أمثلة مذكوره . منها قول عروة بن الورد :

فلو أني شهدت أبا سعادِ
غداة غدا لمهجته يفوق
فديت بنفسه نفسي ومالي
وما آلوك إلا ما أطيق

يريد أن يقول : فديت نفسه بنفسى ... " [٢] وقد ضرب لهذا أمثلة أخرى .

والخفاجى يستحسن آراء بعض العلماء فيوردها ، كما ينقد آراء آخرين فى حملهم بعض الأمثلة على القلب ، ويبين أن الصواب غير القلب فمن الأول قول الحطيئة :

فلما خشيت الهون والعير ممسك
علي رغمه ما أمسك الحبل حافره

" فقد قيل : أن الحبل إذا أمسك الحافر ، فالحافر أيضاً قد شغل الحبل ، فالنظم على هذا ليس بمقلوب " .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى (٤٢٢ - ٤٦٦ هـ) .
(٢) سر الفصاحة . صـ ١٠٦ .

ويستشهد بقول الفراء فى نفى القلب عن قوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ . (١)

ومن الثانى نقده لابن جنى فى القول بالقلب :

" وقد حمل أبو الفتح عثمان بن جنى قول أبى الطيب :

نحن قـــوم ملجن في زى ناس
فـوق طيـر لهـا شـخـوص الجـمـال

على المقلوب . وقال فى تقديره : نحن ركب من الإنس فى زى الجن فوق جمال لها شخوص طير ، وهذا عندى تعسف من أبى الفتح لا تقود إليه ضرورة . ومراد أبى الطيب : المبالغة على حسب ما جرت به عادة الشعراء ؛ فيقول : نحن قوم من الجن ، لجونبا الفلاة ، والمهامه ، و القفار التى لاتسلك ... إلا أننا فى زى الإنس – وهم على الحقيقة كذلك ، ونحن فوق طير من سرعة إبلنا إلا أن شخوصها شخوص الجمال ، ولاشك أيضاً في ذلك " . (٢)

فابن جنى حمل المعنى على القلب ، بينما حمله ابن سنان على المبالغة في وصف الركب بالجن لإتيانهم بهذه الأفعال دون خوف وأكد ذلك . وفى رأيى أن البيت يحتمل المعنيين .

فابن سنان لايقول بالقلب فى القرآن الكريم ، بينما يقول به فى بعض نصوص الشعر للضرورة .. وأمانته العلمية تجعله ينسب الآراء إلى أصحابها .

خامس عشر : القلب البلاغى عند الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ)

أهم مؤلفات الزمخشرى تفسيره : (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) وسنذكر منه بعض المواضع التى تتصل بموضوعنا .

---

(١) سورة القصص . الآية: ٧٦ .

(٢) سر الفصاحة . ص ١٠٦ .

فى قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ [1] يذكر أنه : " كقولهم : أوركتهُ السِّنُّ العالية ، والمعنى : أثر فيَّ الكبر ؛ فأضعفنى . وكانت له تسع وتسعون سنة ، ولا مرأته ثمان وتسعون . وكذلك يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة " . [2]

فعلى هذا لا قلب فى نظم الآية الكريمة ، وإنما المعنى على التقديم والتأخير أو هو على المجاز " استعارة مكنية " بجعل الكبر كالإنسان الطالب للشىء الذى يريد بلوغه ثم استعير الإنسان وحذف بعد الاستعارة ورمز إليه بلفظ "بلغ" . أو هو من المجاز العقلى " .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [3] يقول : " والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ ، كقوله : ﴿ إذا قمتم ﴾ [4] ، وكقولك : إذا اكلت فسمِّ الله "[5] .

فلا قلب فى نظم الآيتين الكريمتين ، وإنما المعنى على المجاز المرسل بعلاقة المسببة فحذف السبب اكتفاء بالمسبب ، وقد بين ذلك ابن جنى وغيره. [6]

وفى قوله تعالى : ﴿ لك اجل كتاب ﴾ [7] يقول : " لكل وقت حكم يكتب على العباد . أى يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم " [8] ؛ فلا قلب إذا فى النظم .

ولكن الزمخشرى يذكر الرأيين فى قوله تعالى : ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ [9] فيقول : " وعرضهم على النار : تعذيبهم بها . من

---

(١) سورة آل عمران " الآية : ٤٠ " .
(٢) الكشاف . جـ ١ . صـ ٤٢٨ .
(٣) سورة النحل " الآية : ٩٨ " .
(٤) سورة النحل . الآية : ٨
(٥) الكشاف . جـ ٢ ص ٤٢٨ .
(٦) انظر الخصائص . جـ ٣ ص ١٧٣ ، والبحر المحيط . المجلد السادس . ص ٥٣٥ .
(٧) سورة الرعد . الآية : ٣٨ .
(٨) الكشاف جـ ٢ ص ٣٦٣ .
(٩) سورة الاحقاف " الآية : ٢٠ " .

قولك : عرض بنو فلان على السيف . إذا اقتلوا به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها ﴾ [1] ، ويجوز أن يراد عرض النار عليهم . من قولك : عرضت الناقة على الحوض . يريدون : عرض الحوض عليها ؛ فقلبوا .. " [2]

فقد جوز القلب ، وقدر ردَّ عليه ابن المنير الاسكندرى [3] ، كما ورد عليه أبو حيان حيث قال : " ولا ينبغى حمل القرآن على القلب .. " . [4]

ولكن أبا حيان جعل القلب رأيا آخر .

وفى قوله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ [5] يقول : " أراد : أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ، ولعدم اللبس ، أو أراد : واجعل كل واحد منا إماما .. " فلا نجد ظلا للقلب فى هذا التأويل .

ويتضح مما سبق أن الزمخشرى يبذل جهده فى التأويل بحيث يتفق ونظم الآية ، وقد يذكر القلب . أي يجيزه ، ولكن بقلة .

وهو متأثر بكل من : الفراء ، وابن جنى ، والشريف المرتضى ، كما مر

سادس عشر : القلب البلاغى عند أبى البقاء العكبرى (ت ٥٣٨ هـ)

كان لأبى البقاء منزلة فى النحو والقراءات ، ومؤلفاته كثيرة فى مقدمتها : (البيان فى إعراب القرآن) . والمتتبع للآيات التى عدها – بعض العلماء – من القلب يرى أن أبا البقاء يهتم أولاً بالقول بعيداً عنه ، ثم يذكره على أنه رأى غيره بنحو : " وقيل ، وقال قوم " ومن ذلك .

قوله تعالى : ﴿ أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر ﴾ [6] يتبعه بقوله : " وفى موضع آخر : ﴿ بلغت من الكبر عتيا ﴾ [7] والمعنى واحد ؛ لأن ما

---

(١) سورة غافر . الآية : ٤٦ .
(٢) الكشاف جـ ٣ ص ٥٢٣ .
(٣) انظر الانتصاف من الكشاف جـ ٣ ص ٥٢٣ (هامش) .
(٤) انظر البحر المحيط المجلد الثامن من ص ٦٣ .
(٥) سورة الفرقان . الآية : ٧٤ .
(٦) سورة آل عمران . الآية : ٤٠ .
(٧) سورة مريم . الآية : ٨ .

بلغك فقد بلغته " [1] فالمعنى على غير القلب ؛ لاشتراك " زكريا – عليه السلام – والكبر فى صفة البلوغ .

وفى قوله تعالى : ﴿ ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ﴾ يقول : أى تنىء العصبة ، فالباء معدية معاقبه للهمزة فى أنائه ... وقيل هو على القلب . أى لتنوء به العصبة " [2] فالباء على هذا السببية .

وفى قوله تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا ﴾ [3] يقول : المعنى : وكم من قرية أردنا إهلاكها ، كقوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾ أى أردت قراءته ، وقال قوم : هو على القلب أى : وكم من قرية جاءها بسأنا ، فاهلكناها ، والقلب هنا لا حاجة اليه ، فيبقى محض الضرورة " [4]

فابو البقاء : يذكر المعنى موافقا للنظم ، وأن ذكر القلب فعلى أنه رأى غيره ، وينبه أحياناً بأن القلب لا حاجة إليه فى نظم القرآن الكريم .

سابع عشر : القلب البلاغى عند الفخر الرازى . (ت ٦٠٤ - ٦٠٦ هـ)

كتب الامام الرازى كتاب : " نهاية الإيجار فى دراية الإعجاز " وقال إنه " تلخيص لكتابى عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، مع ترتيب للفصول . والأبواب " مع إضافات أخرى من كتب التراث ، وإن بدا الكتاب جافا بعددا عن نوق وتحليلات الإمام عبد القاهر .

وقد عقد الرازى مبحثا بعنوان (الفصل الرابع . القلب) وما قاله لا يخرج عما عرف بـ " الانعكاس " وهو ما عناه بقوله : " مقلوب مستوٍ " وقد مثل لهما بقول الشاعر :

حسامك فيه للأحباب فتح
ورمحك فيه للأعداء حتف

---

(١) التبيان فى إعراب القرآن . القسم الأول . ص ١٧١ .
(٢) المرجع السابق . القسم الثانى ص ١٠٢٥ .
(٣) سورة الأعراف . الآية : ٥ .
(٤) التبيان . القسم الأول . ص ٥٥٦ .

، وبقول الرسول ﷺ : " اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا " [1] كما مثل للمقلوب المستوى بقول الحريرى .

آسي أرمـــــــلا إذا اعـــــــرا

وارع إذا المـرء أســـــــــــــا

وهذا فى الإيضاح [2] للخطيب

٢- وإذا ذهبنا الى (التفسير الكبير) ألفينا الرازى يحاول ما أمكن تفسير القرآن بعيداً عن القلب ، وبين خطأ القول به .

ففى قوله تعالى : ﴿ خلق الانسان من عجل ﴾ [3] يتأثر بالشريف المرتضى فيقول : " أى : خلق عجولا ، وذلك على المبالغة ، والعرب قد تسمى المرء بما يكثر منه ؛ فتقول :

ما أنت إلا أكل ونوم ، وينقل عن أئمة اللغة حيث ذكر أربعة أقوال ثم أتبعها بالقول بالقلب ، وذكر أنه أبعد الأقوال ، فيقول : " أما الذين قلبوها ، فقالوا المعنى : خلق العجل من الانسان .. والقول الأول أقرب إلى الصواب وأبعد الاقوال هذا القلب ؛ لأنه إذا أمكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه أولى من أن يحمل علي أنه مقلوب " . [4]

وفى قوله تعالى : ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ يذكر ثلاثة وجوه ، فيقول : " الأول. فيه تقديم وتأخير .. الثانى : الدنو والتدلى بمعنى واحد .. " ولم يقل فى أحدها بالقلب .

وفى قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم ﴾ [5] ينقل عن القفال معني التلقى فيقول : " إذا كان من تلقى رجلا ؛ فتلاقياً . لقى كل منهما صاحبه ؛

---

(١) انظر . مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٣ .

(٢) جـ ٣ ص ١٠٠ ، ١٨٤ ، وانظر . المطول ص ٤٥٧ .

(٣) سورة الأنبياء . الآية : ٣٧ .

(٤) التفسير الكبير . المجلد الرابع عشر جـ ٢٧ ص ٢٤٧ .

(٥) سورة البقرة . الآية : ٣٧ ، والتفسير الكبير . المجلد الثالث ص ١٩ .

فأضيف الاجتماع إليهما معا صلح أن يشتركا فى الوصف بذلك ؛ فيقال : كل من تلقيته فقد تلقاك . فجاز أن يقال : تلقى آدم كلمات . أى أخذها ورعاها ، واستقبلها بالقبول . وجائز أن يقال : تلقى كلمات بالرفع على معنى : جاءته من الله كلمات " .

فالإمام لا يفوته أن ينبه على أن الأولى فى تفسير الآيات القول بغير القلب ، ويستشهد بما ورد عن العلماء ، وإذا ذكر القلب فعلى أنه رأى غيره. وكثيراً ما ينقده .

ثامن عشر : القلب البلاغى عند أبى يعقوب السكاكى (ت ٦٢٦ هـ)

ورد الكلام عن " القلب " عنده " فى القسم الثالث من " مفتاح العلوم " فى " معاقد علم المعانى " [1] فقد ذكر أن الشان فى المسند إليه أن يكون معرفة ، فإذا كان نكرة ، والمسند معرفة فإنه ليس من كلام العرب ، وما جاء مخالفاً كان محمولاً على القلب .

ثم ذكر كثرته فى كلام العرب ، وفى التنزيل ، وبين سره البلاغى ، وأنه شعبه من الكلام لا على إخراج الظاهر ، وأورد فيضا من الأمثلة .

قال : " وإن هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب ، وهى شعبة من الإخراج لا على مقتض الظاهر ، ولها شيوع فى التراكيب ، وهى مما يورث الكلام ملاحة ، ولا يشجع عليها إلا كمال البلاغة . تأتى فى الكلام ، وفى الاشعار ، وفى التنزيل " .

موقفه من الأمثلة :-

١- منها ما لا يحتمل غير القلب اختياراً كما فى عرضت الناقة على الحوض أو اضطرار كما إذا أخبر عن النكرة بالمعرفة ، فيقع اللبس ، وهو مكروه عند العرب ، وتصحيحاً لذلك يجب التأويل بالقلب وقد مثل بقول القطامى :

---

(١) مفتاح العلوم . ص ٢١١ .

ولايك مـــــوقف منك الوداعـــــا

وبين أن الأصل : ولايك مـوقـفـاً منك الوداعُ .. قـال : " وفى البـيت اعتبارات سؤالاً وجواباً . فلا عليك أن تتأملها . وإياك والتبخيت فى تخطئة أحد ههنا ؛ فيخطىء ابن أخت خالتك " . (١)

يعنى أن البيت وأمثاله يحتمل عدة تأويلات منها القلب .

٢- ومنها ما يحتمل القلب وغيره . وضرب السكاكى لهذا النوع أمثلة منها قول خداش :

وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

فقد حمله على القلب وغيره ، فقال : " أراد : وتشقى الضياطرة الحمر بالرمـاح ، ولك أن لا تحمله على القلب بوساطة استعارة الشقاء لكسرها بالطعان ... وفى التنزيل : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا ﴾ (٢) أى : فجاءها بأسنا فاهلكناها ، على أحد الوجهين " أى : القلب .

فالسكاكى بين معنى القلب ، وسره البلاغى ، كما بين كثرته فى الكلام فى الكلام وأنه يكون اختياراً ، أو اضطراراً - تصحيحاً للنظم - وكذلك بين آراء العلماء فيه .

تاسع عشر : القلب البلاغى عند حازم الأنصارى (ت ٦٨٤ هـ) (٣)

وحديث ، حازم " عن القلب البلاغى فى كتاب " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " طويل ، وهو - فيما قرأت - أول عالم يفلسف فيه الكلام ؛ إذ ينهج نهجا منطقياً عقلياً يعتمد على الحوار ، والتقسيمات ، وفى أسلوبه كثير من

---

(١) المرجع السابق . صـ ٢١٠ ، ٢١١ ، انظر فى تأويل البيت . الكتاب . جـ ٢ . صـ ٢٤٣ ، وكتاب المقتضب . جـ ٤ . صـ ٩٣ ، والمفصل جـ ٧ . صـ ٩١ وقد بينت ذلك مفصلا فى المبحث التالى .

(٢) سورة الأعراف " الآية : ٤ " .

(٣) هو أبو الحسن محمد بن حازم الأنصارى القرطبى القرطاجنى نشأ فى ثراء ونعمه ، ولكن هذا لم يصرفه عن العلم ، فقد كان جادا فى طلبه فدرس الفقه وعلوم اللغة العربية ، كما درس المنطق ، والفلسفة وعندما احتل الاسبان " قرطبة " هاجر " حازم " إلى المغرب ، وغيرها . توفى ٦٨٤ هـ.

الغموض الذى يكد الذهن ، وإن كان هذا يدل على عمق ثقافته ، ولا سيما فى المنطق والفلسفة .

و "حازم" فى محاولاته رفض " القلب" سلك طريقين متداخلين : [1]

الأول : طريقاً عقلياً منطقياً يعتمد على الجدل والحوار ، وكثرة التقسيمات .

الثانى : إيراد بعض الأمثلة المأثورة ، والاشارة إلى ما رآه العلماء فيها من القبول ، أو الرد . ولكن " حازم " ينتصر للرأى الثانى .

فحازم ذكر بعض وجوه الإغماض فى الألفاظ والعبارات كاللفظ الحوشى ، والمشترك ، وكذا ما يكون منها فى المعانى . فقد عد منها ما عرف – بالتعقيد اللفظى – وسماه مقلوباً ؛ فقد قال " ... ومن ذلك : أن يقع فى الكلام تقديم وتأخير ، أو يتخالف وضع الإسناد ؛ فيصير الكلام مقلوباً ... فتخفى جهة التطالب بين الكلامين " . أى الإفادة من الإسناد .

ثم يرشد إلى ما يجب اتباعه فى بعض الكلام . [2]

١- فإذا كان حمله على " القلب " يبعد المعنى المراد ، فإنه لا يحمل عليه .

٢- وإذا كان لا يمكن الاهتداء إلى المعنى إلا بتأويل وجب الوقوف عند المعنى الظاهر ؛ فلا نؤول ؛ إذ الكلام إما خطأ من أصله ، أو هو مما غيرَّه بعض الرواة . وقد استشهد على هذا بقول عروة :

فلو أني شهدت أبا معاذ
بمهجته غدائذ يفوق
فديت بنفسه نفس ومالي
فما آلوك إلا ما أطيق

---

(١) انظر . منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) انظر . المرجع السابق ص ١٧٩ .

يريد : فديت بنفسى

فهذا وأمثاله لا يجب أن يعمل عليه ؛ لأنه كلام خطأ - على ما قدمنا -، ويحتمل أن يكون هذا ، وما أشبهه مما غيره بعض الرواة ؛ لتقارب العبارات عن أصل وضعه قليلاً ؛ فلا يشعر بذلك . ألا ترى أن هذا البيت يتأتى تغيير العبارة الواقعة فى صدره إلى وضع يدل على مفهوم صحيح ؛ فيقال فيه : جعلت فداءه نفسى ومالى . بدل : فديت بنفسه " . (١)

فأكثر الناس يجعل هذا النوع مقلوباً ، والبعض يتأوله تأولا تأيلا فيه سلامة من القلب ، ويرون أن التأويل وإن بعد فهو أولى من حمله على القلب ؛ لأنه إن كان الكلام مقلوباً وكانت العبارة مقصوداً بها غير ما تدل عليه بوضعها ، وسوغ هذا عند حامل الكلام - على هذا المذهب - أن المقصد من الكلام واضح .

وان كانت العبارة غير دالة عليه فقد ذهب بالكلام مذهباً فاسداً ، وكان هذا خطأ فى العبارة ، وفى سعه الكلام مندوحة عن المذاهب الفاسدة " (٢)

ثم أشار " حازم " إلى ما عرف بالتعقيد اللفظى . وبين أن كلا الأمرين - التعقيد والقلب - خارج عن الطريق السوى الذى يكون له فى النفس موقع، وفى الفهم مكانة .

وقد تأثر " حازم " بكل من : الفراء ، وابن قتيبة ، والآمدى ، وغيرهما، ولكنه أحياناً يناقش ويجادل فيما لا يراه . فقد أورد قول الحطيئة :

فلما خشيت الهون والعير ممسك برغمه ما امسك الحبل حافره

ثم قال : " لأنه الحبل إذا أمسك الحافر ؛ فالحافر أيضاً شغل الحبل وأمسكه عن أن يتخلى عنه ، ويتفلت ؛ فليس هذا بمقلوب ..... " (٢) .

وأورد قول قطرى بن الفجاءة :

---

(١) المرجع السابق . ص ١٨٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨١ .

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصيب

جـذع البـصـيـرة قـارح الإقـدام

ثم رجح رأى " ابن سنان " بحمل المعنى على غير القلب ، وذلك بتقدير معنى : لم أصب " : لم أُلف دون ما يقولون من أن مراده : لم أجرح [1] .

فحاصل كلام حازم : أن حمل كلام الناس على القلب تعسف شديد إذا أمكن حمله على الاستقامة ، والقول به فى القرآن أشد تعسفا ، ولذا يجب التأويل بعيدا عن القلب ، وبدا حازم تأثره أكثر بابن قتيبه والآمدى ... وقد سلك طريف الجدل والحوار ، وفى عبارته الكثير من الغموض وطول الجمل . وبذلك بدا الأسلوب بعيدا عما ألفناه .

عشرون : القلب البلاغى عند بدر الدين بن مالك (ت٦٨٦ هـ)

كتب بدر الدين بن مالك : (المصباح فى المعانى والبيان والبديع) وهو اختصار للقسم الثالث من (مفتاح العلوم) . وقد ورد الحديث عن القلب فى المصباح ملحقا باحوال المسند ، فقد أورد له الامثلة من القرآن الكريم ، ومن كلام العرب ، وألمـح إلى سره البلاغى ، وبدا تأثره بالسكاكى حيث يقول : " وللقلب شـرع فى التـراكـيب ، وهو مما يورث الكلام مـلاحـة . ومنه قـول القطامى :

كما طينت بالفدن السباعا

وفى التنزيل : ﴿ فألقه إليهم ثم تول عنهم ﴾ " [2] .

ولم يتقدم " بد الدين " بمبحث القلب . بل جهده التلخيص ، وتجنب مصطلحات المنطق ، وهذه السمة غالبة الكتاب .

---

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الدمشقى . كان إماما فى النحو والبيان . ولد بالاندلس ثم هاجر إلى " دمشق " واشتغل بالعلم وتصنيف الكتب ومنها : المصباح وروض الاذهان فى البلاغة . توفى ٦٨٦ هـ .

(٢) سورة النمل " الاية : ٢٨ " ، انظر المصباح صـ ٤١ ، ٤٢ .

القلب البلاغى عند محمد بن على الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ)

أشار الجرجانى إلى القلب فى أحوال المسند إليه . والقلب عنده غير مقبول ، وليس من مسائل علم المعانى . والجرجانى ينكره فى القرآن الكريم ، ولم يقل به إلا فى التشبيه المقلوب ، للمبالغة .

ومما قال : " وان جاء فى القرآن ما يوهم القلب يجب تأويله ، كقوله تعالى : (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا) وأراد : أردنا إهلاكها وقوله : (دنا فتدلى) أراد : دنا النبى دنو الكمال ؛ فتصور كهيئة المتدلى ، لا فى العالم العلوى بكله ، ولا فى العالم السفلى بكله " [١] وما قاله قريب مما ذكره الشهاب الخفاجى في حاشيته [٢] .

فالجرجانى خالف العلماء ونفى البلاغة عن (القلب) – اللهم إلا التشبيه المقلوب ، ونزعته الدينية حملته على إنكاره – ولا سيما فى القرآن الكريم . وهو متأثر بابن قتيبه ، وحازم الأنصارى ..

القلب البلاغى عند الخطيب القزوينى (ت ٧٣٩ هـ)

لخص الخطيب القزوينى القسم الثالث من (مفتاح العلوم) للسكاكى فى كتيب سماه : (متن التلخيص) ثم رأى أن به غموضا فأراد ان يوضحه ويشرحه فكتب : (الايضاح) .

وقد تعرض الخطيب للقلب فى (متن التلخيص) ؛ ولذا فإنى سأكتفى بالإشارة إليه عند النقل من : (الإيضاح) .

والخطيب ذكر القلب ملحقا بمباحث " المسند إليه " فى كليهما ، وقد بين فى الإيضاح آراء العلماء فيه ، كما بين رأيه والذى كان بحق : ﴿ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [٣] حيث قال :

" ومن القلب ، كقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، ورده مطلقا

---

(١) الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة صـ ٥٩ .

(٢) انظر حاشية الشهاب . المجلد الثامن . صـ ١١١ .

(٣) من سورة ص " الآية : ٢٠ " .

قوم ، وقبله مطلقا قوم منهم " السكاكى " . والحق أنه إن يتضمن اعتبارا لطيفا قبل ، وإلا رد .

أما الأول فكقول رؤبة :

ومـــهـــمـــه مـــغـــبـــرة ارجـــاؤه

كـــأن لون أرضـــه ســـمـــاؤه

أى : كأن لون سمائه لغبرتها أرضه ؛ فعكس التشبيه ، للمبالغة : وأما الثانى فلقول القطامى :

كما طينت بالفدَن السياعا [1]

الفدن : بفتح الدال : القصر ، والسياع : الطين المخلوط بالتبن ، أو الآلة التى يصنع بها ذلك . يصف الشاعر ناقته بأنها صارت ملساء من السِّمن ، فصارت كالقصر المطين بالسياع [2] يعنى لم يبرز شئ من عظامها بسبب السِّمن .

كما نبة على الخطأ فى عد بعض آيات القرآن من " القلب " وأن من الشعر ما يحتمل القلب ، وغيره .

ومع ان الخطيب درس " التشبيه المقلوب " ضمن مباحث التشبيه فى علم البيان فإنه أورد بعض أمثلته هنا ومنها قول رؤية :

وذكرالقلب فى (علم البديع) فى موضعين :

الأول : فى الجناس الناقص ، وسماه الخطيب ، " جناس القلب " حيث قال : " هو ضربان . قلب الكل ، كقولهم : حسامة فتح لأوليائه ، حتف لأعدائه ، وقلب البعض ، كما جاء في الخبر : " اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا " [3] .

---

(١) الإيضاح . جـ ١ . صـ ١٦٥ ، و في متن التلخيص . صـ ٣٤ .

(٢) أى فى علم المعانى .

(٣) الإيضاح . جـ ٤ . صـ ٨٤ ، متن التلخيص . صـ ١٣١ .

الثانى : وذكر محسنا مستقلا ، قال الخطيب : " ومنه القلب كقولنا : أرض خضراء ، وقول عماد الدين الكاتب للقاضى الفاضل : " سر فلا كبا بك الفرس " [1] فكل من المثالين يقرأ من آخره كما يقرأ من أوله .

وذكر القلب " ملحقا بالبديع فى " السرقات " حيث ذكر الخطيب أن السرقة إما ظاهره ، أو غير ظاهره ، وفى بيانه للنوع الثانى قال :

" ومنه القلب . وهو أن يكون معنى الثانى نقض معنى الأول ، كقول أبى الشيص :

أجـــد الملامـــة في هواك لذيذة
حـــبـــا لذكـــرك فليلمني اللوم

وقول أبى الطيب :

أأحـــبـــه وأحب فـــيـــه مـــلامـــة
إن الملامـــة فـــيـــه من أعـــدائه "

فالأول يستحسن الملامة فى هوى ممدوحه ، بينما ينكرها الثانى فى ممدوحه الآخر ؛ لأنها من أعدائه – والقلب هنا لا يتصل بموضوع القلب البلاغى الذى نعنيه فالخطيب وزع القلب على علوم البلاغة ، وكان راية فيه جامعا ، ومع أنه مثل للتشبيه المقلوب هنا إلا ان هذا لم يعفه من ذكر " التشبيه المقلوب " فى علم البيان . وكان على المتأخرين أن يجمعوا (القلب) فى موضع واحد ، ليكون أجدى للدارس ، فالبلاغة مفهومها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .

القلب البلاغى عن الامام الزركش (ت ٧٩٤ هـ) [2]

وكتاب البرهان فى علوم القرآن " للزركشى كتاب جامع لشتى المباحث

---

(١) الإيضاح . جـ ٤ . صـ ١٠٠ ، وانظر . متن التلخيص . صـ ١٣٦ .

(٢) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى المصرى من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين . كان زاهدا ، رضى الخلق ، متواضعاً ، زاهداً . توفى بمصر سنة ٧٩٤ هـ .

والآراء فى هذه العلوم ، وقد عقد فيه مبحثا للقلب ، صنف فيه ما انتهى إليه من آراء العلماء ، كما ذكر أنواعه ، كان استشهاده من القرآن الكريم مع ذكر كثير من الآراء ، وترجيح ما يراه منها .

قال الزركشى عن القلب : " وفى كونه من أساليب البلاغة خلاف . فأنكره جماعة منهم " حازم " فى كتاب : " منهاج البلغاء " وقال : إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه ؛ لأن العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث والتهكم ، أو المحاكاه ، أو حال الاضطرار ، والله منزه عن ذلك . وقبله جماعة مطلقا بشرط أمن اللبس ، كما قاله المبرد فى كتاب : " ما اتفق لفظه واختلف معناه " . وفصّل آخرون بين أن يتضمن اعتبارا لطيفا فيبلغ ، وإلا فلا .... " (١) .

ثم قسمه إلى خمسة أنواع :

أحدها : قلب الاسناد وقد أورد له أمثله كثيرة منها قوله : " .... ومثله . ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (٢) قال الفراء : أى لكل أمر كتبه الله أجل مؤجل . وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ (٣) هو من المقلوب أى : يريد بك الخير . ويقال : أراده بالخير ، وأراد به الخير ... " (٤) فعلى رأى الفراء يكون القلب .

الثانى : قلب المعطوف : وذكر الزركشى أربعة أمثلة منها قوله :" وقوله : (تم دنا فتدلى) أى : تدلى ، فدنا ؛ لأن التدلى نال الدنو ، والقرب إلى المنزلة الرفيعة وإلى المكانة . لا إلى المكان . وقيل : لا قلب .

والمعنى : ثم أراد الدنو ؛ فتدلى ... " (٥) .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن . جـ ٣ . صـ ٢٨٨ .

(٢) سورة الرعد " الآية : ٣٨ " .

(٣) سورة يونس " الآية : ١٠٧ " .

(٤) البرهان . جـ ٣ . صـ ٢٩٠ .

(٥) المرجع السابق . جـ ٣ . صـ ٢٩٠ .

أما النوعين : الثالث والرابع فإنه أشار فيهما إلى العكس . ومثل بقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ (١) وبقوله سبحانه : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ (٢) . وهذه الآية مما عناه العلماء بمقلوب الكل . وأما النوع الخامس فهو ماعناه بأيه مقلوب البعض . مثل بقوله سبحانه ﴿ فَرَّقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٣) " (٤) فإن (بنى) مركب من حروف (بين) .

القلب البلاغى عند ابن هشام : (ت ١٣٦٠هـ)

بدأ بسيبويه الفارسى ، ونختم بأبى محمد عبد الله جمال الدين يوسف ابن هشام المصرى صاحب المؤلفات الكثيرة فى النحو والصرف . وهذان العلمان يجمعهما قول ابن خلدون : (ما زلنا ونحن ببلاد المغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقاله :"ابن هشام " أنحى من سيبويه ".

ومن أهم مؤلفات ابن هشام " مغنى اللبيب " ومما جاء فيه " القاعدة العاشرة (٥) من فنون كلامهم (القلب) وأكثر وقوعه فى الشعر ، كقول حسان - رضي الله عنه - :

كأن سبيئة من رأس
يكون مزاجها عسل ودماء

فيمن نصب المزاج ، فجعل المعرفة الخبر ، والنكرة الاسم .....

وقول رؤية :

ومهمة مغبرة أرجاؤه
كأن لون أرضه سماؤه (٦)

---

(١) سورة الأنعام " الاية : ٥٢ " .
(٢) سورة المدثر " الآية : ٣ " .
(٣) سورة طه " الآية ٩٤ " .
(٤) البرهان . جـ ٣ . صـ ٢٩٣ .
(٥) من أبواب كتابه : مغنى اللبيب : (الباب الثامن فى ذكر أمور كلية يتخرج عليها من الصور الجزئية . وهى أحدى عشره قاعدة من صـ . ٨٨٤ - وإلى آخر الكتاب) والقلب من هذه الأمور.
(٦) مغنى اللبيب . صـ ٩١١ .

وجعل ابن هشام يورد الامثلة من الشعر ؛ ومن القرآن الكريم ، ويذكر من آراء العلماء ، ويرجح ما يراه . ومن ذلك قوله :

" قيل : ومن القلب : ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَولَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ ماذا يرْجِعُونَ ﴾ [1] الآية . وأجيب بأن المعنى : ثم تول عنهم إلى مكان يقرب منهم ؛ ليكون ما يقولون بمسمع منك [2] ؛ (فانظر ماذا يرجعون) . وفى : (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) أى تجعلها تنهض متثاقلة " [3] .

فابن هشام انتفع بكثير من جهود العلماء فى القلب وأشار إليها مع الترجيح لما يراه ، واورد الأمثلة من القرآن الكريم ، ومن مأثور كلام العرب .

---

(١) سورة النحل " الآية : ٢٨ " .

(٢) هذا رأى الزمخشرى فى الكشاف . جـ ٣ . صـ ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) مغنى اللبيب . صـ ٩١٤ .

المبحث الرابع
القلب فى كلام العرب (دراسة تطبيقية)

ورد القلب فى كلام العرب شعرا ونثرا ، وافتدى بهم من جاء بعدهم وهذا ما دعا الكثير من العلماء إلى نقدهم ؛ إذ الأولى أن يكون النظم تابعا للمعنى وموافقا له ، وأما القلب فإنه يكون للضرورة وغيرها ، وهذا ما دعا إلى الخلاف فى بعض النصوص الأدبية .

تقسيم القلب : وهو معنوى ، ولفظى (١)

الأول : القلب المعنوى : وهو ما كان الداعي إليه المعنى – أى تصحيحه . وجل أمثلة القلب من هذا النوع . وسنورد هنا بعض الأمثلة :–

١– جاء فى كتب التراث كثيراً نحو : عرضت الناقة على الحوض ، وإدخلت القلنسوة فى رأسى . قال ابن يعقوب المغربى : " والسبب فى جريان نحو نحو هذا القلب : أن الأصل أن يجاء بالمعروض إلى المعروض عليه ، وأن ينقل المظروف إلى الظرف . وها هنا نقل الظرف وهو القلنسوة والخاتم إلى المظروف . وجئ بالمعروض عليه ، وهو الناقة إلى المعروض وهو الحوض ؛ فاعتبر ذلك ؛ فنزل احدهما منزلة الآخر " (٢) .

٢– قال سيبوية : تهيَّبني كذا وكذا وتهيَّبْتُنى البلادُ (٣) .. وهو من أمثلة القلب . وقد فسره من جاء بعده .

فالأصمعى يقول : قال أبو حاتم : يقال ناءبى الجملُ نوءاً فى معنى : نُؤت به . أى : نهضتُ به متثاقلا . وهو شبيه بقولهم : تهيبَّتْنى البلاد . إذا تهيبَّتها (٤) .

وقال أبو على : " وأنشد الحسن :

---

(١) صرح بهذا التقسيم ابن يعقوب المغربى . انظر . مواهب الفتاح . جـ ١ . صـ ٤٨٧ .
(٢) المرجع السابق والصفحة .
(٣) الكتاب جـ . ٤ . صـ ٧٠ .
(٤) كتاب الأضداد عن الأصمعى . صـ ١٥٢ .

وإن أنت لاقـــــيت في نجـــــدة
فلا تتهيَّبْك أن تُقدما فلا تتهيَّبك أن تُقدما

قال : يريد : لا تتهيَّبها . وحكى سيبويه : تهيَّبتْنى البلادُ ؛ فيكون معناه القلب على تأويل أبى الحسن " . (١)

وبين ابن منظور المراد به فقال : " هاب الشيءَ يهابُه : إذا خافه ، وإذا وقّره ، وإذا عظَّمه . ويقال : تهيَّبنى الشيءُ بمعنى : تهيَّيبتُه أنا . قال ابن سيده : تهيَّيبتُ الشيءَ ، وتهيَّيبتى : خفتُه ، وخَوَّفنى " . (٢)

٣- وأورد الفراء قول الشاعر : مثل :

القنافـــذ هدَّ اجـــون قـــد بلغت
نجـــران أو بلغت ســـوءاتهم هجـــر

ثم عقب بقوله : " وإنما السوءة البالغة هجر ، وهذا البيت مقلوب " (٣)

٤- وقال الراعى يصف ثوراً .

فصبحته كلاب الغوث يؤسدها
مستوضحون يرون العين كالأثر

يريد : يرون الأثر كالعين : (٤)

٥- وتقول العرب : طلعت الشعرى ، وانتصب العود على الحرباء والمعنى : انتصب الحرباء على العود . (٥)

قال ابن منظور : " والعرب تقول : انتصب العود فى الحرباء . على القلب ، وإنما هو : انتصب الحرباء فى العود . وذلك أن الحرباء ينتصب على

---

(١) كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب . جـ ١ . صـ ١٠٧ . تحقيق وشرح . د. محمود محمد الطناحي .

(٢) اللسان : (هيب) . (٣) معانى القرآن . جـ ٢ . صـ ٣٩ ، وانظر كتاب الأضداد للسجستانى . صـ ١٥٢ . ضمن (ثلاثة كتب فى الأضداد ..) .

(٤) أمالى المرتضى . القسم الأول . صـ ٢١٦ . والضمير المتصل فى " صحته " لثور ، والغوث : قبيلة من طىء . يؤسدها : يغريها . مستوضحون . يعنى صيادون ينظرون .

(٥) المرجع السابق . صـ ٢١٦ ، وانظر كتاب الأضداد للسجستانى صـ ١٥٢ .

الحجارة ، وعلى أجذال الشجر يستقبل الشمس ، فإذا ازالت زال معها . الأزهرى : الحرباء دويبة على شكل سام أبرص ، ذات قوائم أربع ، دقيقة الرأس . مخططة الظهر . تستقبل الشمس نهارها " . (١)

٦- قال أبو عبيدة : " ويقولون " هذا القميص لا يقطعنى " مجاز ؛ إذا المعنى : لا أقطعُه " . (٢)

٧- قال رؤبة :

ومهمة مغيرة أرجاؤه
كأن لون أرضه سماؤه

قال ابن هشام : " أى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيه ، مبالغة " (٣) ففيه إذا ما يدل " لون السماء قد بلغ من الغيرة إلى حيث يشبه به لون الأرض فيها " . (٤)

هذا رأى من يرى القلب .

وأما من لا يرى ذلك فهم كثير . ونورد قول الآمدى مثالاً على ذلك : يقول : " وليس الأمر فى ذلك بواجب ، لأن أرضه وسماءه مضافان جميعاً إلى الهاء ، وهى كناية عن المهمه ؛ فأيهما يشبه بصاحبه كانا فيه سواء ، وإنما تغير آفاق السماء من الجدب ، واحتباس القطر " . (٥)

يريد أن يقول إن الطرفين : الأرض ، والسماء اشتركا فى الصفة ، فأيهما قدم أو أخر كان فى موضعه ؛ فلا قلب - لكن القول بالقلب أرجح وأراه مراد الشاعر .

٨- قال المرزبانى ممثلاً له : " ومثله للمجنون :

يضم إلىَّ الليلُ أطفال حبكم
كما ضم أزرار القميص البنائقُ

---

(١) اللسان : (حرب) . (٢) مجاز القرآن . جـ ١ . صـ ٦٣ . (٣) مغنى اللبيب . صـ ٩١٢ .
(٤) معاهد التنصيص . للعباس . جـ ١ . صـ ١٧٨ ، وانظر الكتاب . جـ ٢ . صـ ٧٢ .
(٥) الموازنة . جـ ١ . صـ ٢١٨ ، ٢١٩ .

أراد : كما ضم البنائقُ أزرارَ القميص " [1] بجعل البنائق فاعلاً . على القلب .

قال ابن منظور : " البنقة والبَنيقةُ : رقعة تكون فى الثوب كاللبنة ونحوها .. وقيل : البنيقة : لبنة القميص والجمع بنائق وبنيق .

قال قيس بن معاذ المجنون .

يضم إليَّ الليل أطفالَ حبكم
كما ضمَّ أزْرار القميصِ البنائقُ

... وأراد بالأطفال : الأحزان المتولدة عن الحب .

قال ابن برى : وهذا من المقلوب ؛ لأن الأزرَار هى التى تضم البنائق ، وليست البنائق هى التى تضم الأزرار . وكان حق إنشاده :

كما ضم أزرارُ القميصِ البنائقَا

إلا أنه قلبه . وفسَّر أبو عمرو الشيبانى : البنائق هنا بالعُرى التى تدخل فيها الأزرار . والمعنى على هذا واضح بين ، لا يحتاج معه إلى قلب ، ولا تعسف إلا أن الجمهور على الوجه الأول " . [2]

فقد فسره " ابن برى " على القلب ، و " أبو عمرو الشيبانى " بغيره ومرجع الخلاف ضبط كلمة " البنائق " فاذا كانت مرفوعة كان القلب ؛ لإنها تكون فاعلاً وإذا كان معناها " العرى " كان النظم مستقيماً ، ولا قلب .

٩- ومن أمثلة أبى عبيدة للقلب : " والعرب تفعل هذا مثل قول الشاعر

فديت بنفسه نفسى ومالى
وما آلوك إلاَّ ما أطيق

والمعنى : فديت بنفسى ومالى نفسه "[3]

فأبو عبيدة يقول بالقلب ، ويجيزه فى البيت .

---

(١) الموشح مآخذ العلماء على الشعراء . صـ ١٠٩ . (٢) اللسان (بنق) .
(٣) مجاز القرآن . جـ ٢ . صـ ١١٠ .

ولكن بعض علماء النقد والبلاغة يعدونه معيباً ، لأنه يوقع فى اللبس ، فقدامه بن جعفر مثل به لنوع من عيوب الشعر : وهو : " عيب ائتلاف المعنى والوزن " وعقب علي البيت بقوله : " أراد أن يقول : فديت نفسه بنفسى ، فقلب " . (١) ومثل به ابن سنان للقلب ، وهو عنده مرفوض بجملته (٢) كما عابه " حازم القرطاجنى فى كتابه . " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " (٣)

١٠- وأورد القاضى الجرجانى أمثلة من شعره المتنبى " عابها خصومه ، ثم تولى الدفاع عنه . قال :

" وقوله :

وعذلت أهل العشق حتي ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق

قالوا : صعوبة العشق وشدته علي أهله لا توجب ألا يموت من لا يعشق ، فيعجب منه ، وإنما يقتضى أن كل من يعشق يموت . وكأنه أراد : كيف لا يعرف من يعشق ! فذهب عن مراده .

قال بعض من يحتج عن أبى الطيب : إنه خرج مخرج القلب ، وهو كثير فى شعر العرب ، ومنه قول الاعشى :

وكل كميت كأن السلد
سط فيه واري الأديمُ الشّعارا

يريد : حيث وارى الشعار الأديم ، فقلب ، وكقول الآخطل : مثل :

الفنافذ هدّاجون قد بلغت
نجران أو بلغت سوءاتهم هجر .... (٤)

قال ابن هشام في البيت : " وزعم بعضهم .. أن أصله : كيف لا يموت من يعشق ، والصواب خلافه . وأن المراد : أنه صار يرى أن لا سبب للموت

---

(١) نقد الشعر . صـ ٢٠٩ .
(٢) انظر . سر الفصاحة . صـ ١٠٦ . (٣) صـ ٨٤ .
(٤) الوساطة بين المتنبى وخصومه . صـ ٤٦٩ .

سوى العشق " . [1]

الثانى : القلب اللفظى . وهو ما كان الداعى إليه صحة النظم ، واستقامته ، كما إذا وقع اسم « كان » نكرة ، وخبرها معرفة ، فيكون مخالفاً لقواعد اللغة ومن ثم فإن الكلام يحمل على القلب للضرورة ولا يشجع عليه إلا أمن اللبس . [2]

١- ومن أمثلته قول القطامى :

قفي قبل التفرق باضباعا

ولايك موقفا منك الوداعا

وقد حمل على التأويلات التالية : [3]

أ- القلب . بتقدير : ولايك موقف الوداع موقفا منك .

ب- الطلب والرغبة ، أو الدعاء . فكأنه قال : لا تجعلى هذا الموقف آخر وداعى منك .

جـ- أو يحمل المعنى علي حذف مضاف من خبر « يك » . كأنه قال : ولايك موقف منك موقف وداع .

وهذا التقدير أحسن كما فى « الخزانة »

د- أو أن رواية البيت مختلفة ، فقد روى :

ولايك موقفاً منك الوداعا

علي أن يكون اسم « يك » ضميراً مستتراً . « ولايك هو » ولذا قال السكاكى محذراً : « واياك والتبخيت فى تخطئة أحد ههنا ؟ فيخطى ابن اخت خالتك » .

---

(١) مغنى البيت . صـ ٩١٣ .

(٢) انظر . الكتاب . جـ ١ . صـ ٤٧ .

(٣) انظر . المقتضب . جـ ٤ . صـ ٩١ - ٩٤ ، وشرح الموصل . جـ ٧ . صـ ٩١ ، ومغنى اللبيب . جـ ٢ . صـ ٩١١ ، وخزانة الأدب للبغدادى . جـ ٢ . صـ ٣٦٧ .

٢- وكقول حسان :

كـأن سـبـيـئـتـه من بيت رأس

يكون مـزاجـهـا عـسـل ومـاء

وفيه نفس المخالفة ، والتأويل . (١)

٣- وقال أبو الطيب :

نـحـن ركـب مـلـجـن فـي زي نـاس

فـوق طيـر لهـا شـخـوص الجـمـال

فقد حمله ابن جنى على القلب ، بينما حمله ابن سنان على المبالغة . حيث قال :

" وقد حمل أبو الفتح عثمان بن جنى قول أبى الطيب : ... على المقلوب . وقال : تقديره : نحن ركب من الإنس فى زى الجن فوق جمال لها شخوص طير . (٢)

وهذا عندى تعسف من أبى الفتح ، لا تقود إليه ضرورة .

ومراد أبى الطيب : المبالغة على حسب ما جرت به عادة الشعراء ؟ فيقول : نحن قوم من الجن ، لجونبا الفلاة ، والمهامه ، والقفار التى لا تسلك ... إلا أننا فى زى الإنس ، وهم على الحقيقة كذلك ، ونحن فوق طير من سرعة إبلنا ، إلا أن شخوصها شخوص الجمال ، ولاشك أيضاً فى ذلك " (٣)

فقد قوى ابن جني القول بالمبالغة وأكده ، وهى أرجح من القلب ؛ بقرينة الفخر ، فقد جرت العادة أن يبالغ المفتخر بذكر صفات للمدوح بعيدة عن الحقيقة .

---

(١) انظر التأويلات فى الكتاب . جـ ١ . صـ ٤٧ ، والمقتضب . جـ ٤ . صـ ٢٩٢ ، المفصل . جـ ٢ . صـ ١٥٧ ، ومغنى اللبيب . صـ ٩١١ .

(٢) انظر الخصائص . جـ ١ . صـ ٣٠٢ والنقل بتصرف .

(٣) سر الفصاحة . صـ ١٠٦ .

آراء العلماء في القلب

أجمل الخطيب هذه الآراء بقوله : " ومنه القلب .. ورده مطلقا قوم ، وقبله مطلقا قوم . منهم السكاكى والحق : أنه إن تضمن اعتباراً لطيقا قبل ، وإلاَّ رد " [1] ومما مثل به للقلب المردود قول رؤية السابق .

ولكن لا مانع من قبوله مادام تضمن اعتباراً لطيفا .

قال السيوطى : " والنكتة فيه المبالغة فى وصف لون السماء بالغيرة حتى صار يشبه به الأرض فى ذلك مع أن الأرض أصل " . [2]

من أغراض القلب

١- المبالغة . وهى أهم الأغراض . فابن جنى [3] بين أن حمل المعنى فى قوله تعالي ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ علي المبالغة وإن فى الأخبار بالمصدر (عجل) من الإعظام والمبالغة ماليس في القلب ، وممن قال به ايضاً فى الآية الكريمة . القاضى البيضاوى [4] ،والشيخ محمد الطاهر بن عاشور [5] وغيرهم كثير .

٢- العلم بالمعنى ، دون لبس ، فالفراء بعد أن يورد بعض أمثلة القلب يقول : " ... فاستخفوا بذلك إذا كان المعنى معروفاً " . [6] والمرتضى بعلله بوضوح المعنى . [7]

٣- المحافظة علي السجع ، كما في قولهم : " اذا طلعت الجوزاء انتصب العود على الحرباء " .

وللسجع أثره فى جذب الانتباه وتنشيط السامع ، والأخذ بمجامع

---

(١) الإيضاح . جـ ١ . صـ ١٦٥ ، وانظر البرهان . جـ ٣ . صـ ٢٨٨ .
(٢) شرح عقود الجمان . جـ ١ . صـ ١١٣ ، وانظر . حاشية الشيخ مخلوف المنياوى . صـ ٩٢ .
(٣) انظر . الخصائص جـ ٢ . صـ ٢٠٢ .
(٤) أنوار التنزيل . هامش (حاشية الشهاب) المجلد الثامن . صـ ٦٣ .
(٥) تفسير التحرير والتنوير . جـ ٢٤ . صـ ١٥٨ .
(٦) معانى القرآن . المجلد الثانى . صـ ١٢ .
(٧) أمالى المرتضى . جـ ١ . صـ ٢١٦ .

القلوب ، وهو جائز إذا لم يكن متكلفا، وكان المعنى واضحاً .

٤- التخييل . ففى نحو : قطع الثوبُ المسمارَ . يتخيل السامع أن الثوب ممن يقع منه الفعل ، وذلك علي التجوز والتوسع فى الكلام

ومثله أيضاً : تهيَّيبتْنى البلادُ . حيث تتخيل البلاد شخصاً له إدراك ، فتهاب المتكلم . والمعنى : تهيبتُ البلاد .

٥- التفنن فى النظم . وهو جائز مالم يؤد إلى إحاله المعنى - إفساده - أو تعقيده .

ومن سمات اللغة العربية التى " وسعت كتاب الله لفظاً وغاية " ، وتصرف فيها أهلها بما وسعت مكنون أفئدتهم ، فغدت وعاءاً طيعاً للتعبير عن خلجات نفوسهم ، وما استكن فى مخيلتهم ، وعلى ذلك جرى نهج العرب . فالتفنن فى التعبير يدعو لانتباه السامع ، ولتقليب النظر ومعاودة الفكر فى النص بغية الوصول إلى المعنى ، فإذا تم له ذلك كان لهذه الغاية وقع الماء البارد على الظمأ ، وكان المعنى أدعى إلى الاستقرار .

يقول الشيخ عبدالقاهر : " ومن المركوز فى الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له ، والاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى ، وبالميزة أولى ؛ فكان موقعه من النفس أجل وألطف " [١] .

٦- ضرورة الشعر للقافية ، أو استقامة البيت للوزن [٢] وهذه كانت سببا فى ردِّ أسلوب القلب - ولاسيما فى القرآن الكريم - عند بعض العلماء.

ويرى باحث معاصر أن " الأساليب التى ورد فيها القلب صاحبت حاله خاصة كازدحام الأفكار ، والتخييل ، وقصد المبالغة . فعبر عنها القائل بواسطة أسلوب القلب . [٣]

---

(١) دلائل الأعجاز . صـ ١١٠ تصحيح . السيد محمد رشيد رضا . ط. صبيح .

(٢) انظر . تأويل مشكل القرآن صـ ٢٠٠ ، وانظر . الموازنة . جـ ١ . صـ ٢١٨ ، والبحر المحيط . المجلد الخامس . صـ ١٩٣ .

(٣) من بلاغة النظم العربى . جـ ١ . صـ . د. عبد العزيز عبد المعطى عرفة . ط . عالم الكتب .

الخـــاتمـــــة

بتوفيق الله بدأت البحث بمقدمة ذكرت فيها أن البلاغة هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وأن الكلام قد يخرج على خلاف مقتضى ظاهر الحال ؛ فيورد على كيفيات مختلفة من : وضع المظهر موضع المضمر ، وعكسه ، والالتفات والقلب ... الخ . وذلك لاغراض كثيرة . وقد رأيت أن أدرس موضوع " القلب " لأن كتب البلاغة تناولته تناولاً أشبه بالرمز والإشارة ، مع أن مادته العلمية ، وشواهده الكثيرة مبثوثة فى كتب التراث العربى ، وأوضحت أن البحث يشتمل على : مقدمة ، وأربعة مباحث ، وخاتمة.

ففى **المبحث الأول** : بينت مفهوم القلب عند علماء اللغة والبيان ، وعرفت " القلب البلاغى " وعلى ضوء التعريف خرجت المحترزات التالية : التقديم والتأخير ، بناء الجملة لما لم يسم فاعله ، والعكس .

فهذه أمور خارجة عن القلب البلاغى .

وفى **المبحث الثانى** : تحدثت عن ، مواقع القلب " من جهتين :

الأولى : موقعه فى مباحث علوم البلاغة ، فقد ذكرت أن القلب ذكر فى علم المعانى ضمن صور تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر " .

كما ذكر فى كل من البيان والبديع ، وذكر أيضاً ملحقا بالبديع فى "السرقات" ، **الثانية** : موقعه فى الاسناد الخبرى وتوابعه ، فإنه يقع بين الفاعل والمفعول به ، وبين المفعولين ، ويقع بين المفعول به وغيره من التوابع كالجار والمجرور ... الخ .

المبحث الثالث : القلب فى سجل التاريخ : (دراسة نظرية) .

وفيه تعرضت لجهود الكثير من العلماء على اختلاف ثقافاتهم ، ومؤلفاتهم فبدأت بسيبوية حيث ذكر فى (الكتاب) أن الكلام قبل القلب

يكون جيداً ، والقلب فيه غير جيد ، ؛ لأنه يحمل على الاتساع ، كما أنه خلط بين أمثلة القلب والتقديم والتأخير .

وانتقلت إلى " أبي عبيدة " في " مجاز القرآن " فألفيته يصرح بالقلب في مواضع كثيرة منها ، ويستشهد على ذلك بمأثور كلام العرب ، ويبين أن القلب يكون بين شيئين بينهما سبب .

وأما « الفراء » فإنه قال بالقلب كثيراً في " معاني القرآن " وأورد الأمثلة والشواهد من كلام العرب تأييدا له ، ومما يحمد له أنه جعل : " مدخل الظل رأسه " في قول الشاعر .

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه
وسائره باد إلى الشمس أجمع

من التقديم والتأخير ، لا من القلب كما ذكر سيبوية .

وأما " الأصمعي " فإنه اقتصر على إيراد الشواهد شعراً ونثراً له في " كتاب الأضداد " وبين بعضها ، كما أورد " الجاحظ " مثالاً ، وأشار فيه إلى القلب ونذهب إلى " ابن قتيبة " فنجد موضوع القلب على يديه ينحو نحواً جيداً ، حيث عقد له بابا مستقلاً ، غير أنه أدخل فيه التقديم والتأخير وأكثر من أمثلتهما . في هذا الباب . والقلب عند « ابن قتيبة » نوعان : قلب في المعنى وقد ذكر فيه : الترادف ، والمشترك وغيرهما مما يعد من بحوث اللغة ، كما أدخل فيه بعضاً من أمثلة الاستعارة التبعية .

وقلب في المكان وهذا النوع أطال الوقوف عنده ، فذكر أمثلة كثيرة من القرآن الكريم ، ومن مأثور كلام العرب وذكر المعنى على القلب كما وجده عند العلماء ثم بين مذهبه وأنه لا يقول فيها بالقلب . وأخذ يبين المعنى على هذا المنهج هذا في كلام البشر . وأما في القرآن الكريم فإنه لا يقول بالقلب.

وأما " المبرد " فقد درست رأيه من خلال كتبه : " ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد " ، و " كتاب المقتضب " و " الكامل في

اللغة والأدب " فهو فى الأول ينفرد بجعل " المشاكله ،والتحويل – يقصد القلب – من البديع " كما يورد فيه وفى " الكامل " الأمثلة والشواهد شعراً ونثراً على القلب ، ويرى أنه جائز ؛ إذ لا لبس ؛ للاختصار ، فقد انفرد بجعل " الاختصار " غرضاً للقلب ولم يقل به أحد ، وهذا ما عرضه لنقد الآمدى فى " الموازنة " وفى " كتاب المقتضب " ذكر أن الشعراء يضطرون أحياناً إلى جعل اسم " كان " نكرة ، وخبرها " معرفة " ، وأنه يحمل على القلب ، إذْ لالبس ، كى يتفق مع قواعد اللغة .

ونجىء إلى " قدامة بن جعفر " فنجده يعد " القلب " من عيوب " ائتلاف المعنى والوزن " ويذكر له مثالاً ، وقد تأثر به كل من : " أبى عبد الله المرزبانى " و " ابن سنان الخفاجى " و " حازم القرطاجنى " .

وجاء ذكر القلب عند " الآمدى " أثناء ذكره لأخطاء أبى تمام ، الواحد تلو الآخر . ومذهبه : أن القلب ورد فى كلام العرب على السهو ، وأنه لا ينبغى للمتأخر أن يتبعهم فيما سهوا فيه .

وأما القرآن الكريم فإنه يتعالى عن القلب ، وما حمل منه على "القلب" يجب تأويله بما يتفق والنظم القرآنى .

وأما « أبو على الفارسى " فقد تناولت موضوعنا عنده فى كتابى : " الحجة فى تبيين وجوه شواذ القراءات " ، و « كتاب الشعر » له .

فقد ذكر فى الأول مثالاً وذكر أنه " كالمقلوب " . وقد عللت ذلك بأن القلب جرى بين المضاف والمضاف إليه ، وهما كالشىء الواحد ، لا شيئان .

وأما « كتاب الشعر » فقد ذكر فيه أمثلة كثيرة للقلب وبينها وكان لغوياً فيه أكثر منه بيانياً .

ونذهب إلى « ابن جنى » فى كتاب « الخصائص » فنجده يذكر القلب فى غير موضع ، فهو يذكر القلب اللغوى مثل " جذب ، وجبذ " .

وفى موضع آخر بين بالأمثلة أن الإخبار عن الذات بالمصدر يفيد

المبالغة . واستشهد بقوله تعالى ﴿ خلق ﴾ ويذكر أن حمل المعنى فيها على المبالغة ، لا القلب ، وان القول بالثانى يبعد فى الصنعة ، ويصغر المعنى " .

وأما فى « المحتسب " فإنه يجعل بعض القراءات فى قوله تعالى : ﴿ اكتتبها ﴾ [1] بالبناء لما لم يسم فاعله من القلب . وقد ذكرت أن هذا لا يعد من القلب .

واقتصر جهد " ابن فارس " على إيراد بعض الأمثلة والاكتفاء احيا ما على موضع الشاهد .

وقد انتفع " الشريف المرتضى " بما رآه " ابن جنى " فقد بين أن القول بالمبالغة فى وصف الانسان بالعجلة لما يؤثره من الأمور جار على نهج كلام العرب فى نحو : ما خلقت إلا من نوم ، ورد القول بالقلب فى الآية الكريمة وسلك طريق الحوار والجدل مع هؤلاء ليثبت أن القول بالمبالغة لا القلب وجعل " ابن سنان" التعقيد اللفظى ، والقلب " كلاهما من عيوب تأليف الكلام ونقد كثيراً من العلماء فى القول بالقلب ، وبين بعض الأمثلة على غير القلب وفسر الإمام "الزمخشرى" الآيات التى رآها البعض من القلب .

فسرها موافقه للنظم القرآنى . غير أنه قال فى بالقلب فى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ [2] إلا أنه جعله رأيا ثانياً ، وقد ردّ عليه ابن المنير الإسكندرى ، وأبو حيان . [3]

وسارة أبو البقاء العكبرى " على هذا النهج ، فقد صرح بأن " القلب هنا لا حاجة إليه ، فيبقى محض الضرورة " . [4]

وتصدى " الفخر الرازى " لمن قال بالقلب ، وذكر أن ، أبعد الأقوال هذا القلب ، لأنه إذا أمكن حمل الكلام على معنى صحيح ، وهو على ترتيبه

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٥ .

(٢) سورة الأحقاف . الآية ٢٠ انظر الكشاف ج٣ صـ ٥٢٣ .

(٣) انظر . الانتصاف من الكشاف نفس الموضع ؛ والبحر المحيط . صـ ٨ صـ ٦٣ .

(٤) التبيان . القسم الأول . صـ ٥٥٦ .

أولى من أن يحمل على أنه مقلوب " .

ذكر هذا فى " التفسير الكبير " اما فى " نهاية الايجاز " فإن كلامه فى الأ" ب لا يخرج عن " جناس القلب " .. وجاء دور " السكاكى فنجده يشيد بالقلب ، ويذكر أن له شيوعا فى التراكيب ، وأنه يورث الكلام ملاحه .. ويذكر أن من الأمثلة ما لا يحتمل غيرالقلب : اختيارا ، او اضطرارا ، وأن منها ما يحتمل القلب وغيره كالمجاز .

وكان كلام " حازم " عن القلب منطقيا يعتمد على الحوار والجد ، وفى أسلوبه كثير من الغموض . وخلاصة رأيه : أن حمل كلام الناس على القلب تعسف شديد إذا أمكن حمله على الاستقامة ، والقول به فى القرآن أشد تعسفا .

وأما "بدر الدين بن مالك " فإنه لحض ما وجده عند السكاكى فى القلب ، وليس له جهد يذكر ، ونفى " محمد بن على الجرجانى " البلاغة عن القلب ، ولم يعتد إلا بالتشبيه المقلوب ؛ للمبالغة .

وألفينا " الخطيب القزوين " يورد الأمثلة الكثيرة للقلب ، وينبه على الخطأ في عدّ بعض الآيات القرآنية منها ، ويبين أن منها ما يحتمل القلب وغيره كالتقديم والتأخير ، واقتصر جهد " الزركشى " على تصنيف آراء العلماء ، وذكر الآراء المختلفة ، وقد قسم القلب إلى خمسة أنواع بدأها بقلب الإسناد ثم قلب المعطوف .. الخ .

وكان آخر المطاف مع " ابن هشام " النحوى المصرى فى " مغنى اللبيب " حيث أورد له الأمثلة الكثيرة من كلام العب ، ومن القرآن الكريم مع الترجيح لما يراه من الآراء وأما البحث الرابع فكان : القلب فى كلام العرب (دراسة تطبيقية) وقد ذكرت فيه نوعى القلب : المعنوى واللفظى وأن القلب المعنوى : ما كان الداعى إليه المعنى ، وأوردت له أمثلة كثيرة من النثر والشعر منها ما حكاه سيبويه من قولهم : تهيبنِى كذ وكذا ، وتهيبُنَى البلادُ

" وما حكاه أبو عبيده من قولهم : " هذا القميص لا يقطعنى " . بمعنى : أنا لا أقطعه .

وان من الأمثلة ما يحتمل القلب ، وغيره . باعتبارين مختلفين ثم بينت ان القلب اللفظى : ما كان الداعى إليه تصحيح النظم وذكرت له بعض الأمثله . كما ذكرت آراء العلماء فى القلب وذكرت بعض أغراضه : كالمبالغة ، والعلم بالمعنى دون لبس ، والمحافظة على السجع ...

واسأل الله تعالى العون ، والهداية لما يحب ويرضى (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) .

دكتـــــور

مصطفـى السيـد جـبر

استاذ مساعد البلاغة

والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بالقاهرة

ومعار إلى السعودية

فهرس أهم المراجع

١- أثر القرآن فى تطور النقد العربى . د. محمد زغلول سلام . دار المعارف.

٢- أثر النحاه فى البحث البلاغى . د. عبد القادر حسين . دار نهضة مصر ١٩٧٥ .

٣- الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة محمد بن على الجرجانى تحقيق د. عبد القادر حسين . دار نهضة مصر .

٤- أنوارالتنزيل للقاضى البيضاوى بهامش (حاشية الشهاب الخفاجى) .

٥- الايضاح فى علوم البلاغة . الخطيب القزوينى. مكتبة الآداب ومطبعتها .

٦- البحث البلاغى عند أبى على الفارسى وأثره فى الدراسات البلاغية د.فوزى السيد عبد ربه . مكتبة الحسين الإسلامية ١٤١٠ هـ - ١٩٨١ م .

٧- البحر المحيط . أبو حيان . دار الفكر ط ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .

٨- البرهان فى علوم القرآن . للزركشى . ط. دار التراث بالقاهرة .

٩- البلاغة عند المبرد فى الكامل فى اللغة والادب د. مصطفى السيد جبر ط أولى . دار الطباعة المحمدية ١٩٩٦م .

١٠- البيان والتبين . الجاحظ . تحقيق . عبد السلام هارون مكتبة الخانجى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

١١- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها . أحمد مصطفى المراغى ط. مصطفى البابى الحلبى .

١٢- تأويل مشكل القرآن . ابن قتيبة . شرح السيد أحمد صقر ط. دارالتراث ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .

١٣- التبيان فى اعراب القرآن . للعكبرى .

١٤- التفسير الكبير للفخر الرازى . ط. بيروت .

١٥- تفسير الطبرى . المسمى : جامع البيان فى "تأويل القرآن" دار الكتب العلمية . بيروت ط. أولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
١٦- التحرير والتنوير . الشيخ محمد الطاهر بن عاشور . الدر التونسية للنشر .
١٧- تفسير القرآن العظيم . ابن كثير . ط. بيروت .
١٨- ثلاثة كتب فى الاضداد للاصمعى وللسجستانى ولابن السكيت . دار الكتب العلمية . بيروت .
١٩- حاشية الشهاب الخفاجى . دار السرور . بيروت .
٢٠- حاشية الشيخ مخلوف المنياوى على شرح حلية اللب المصون . ط . مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
٢١- الخصائص . ابن حبى . تحقيق محمد على النجار . الطبعة الثانية .
٢٢- سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجى . تصحيح الشيخ عبد المتعال الصعيدى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ .
٢٣- شرح عقود الجمان . السيوطى . ط. مصطفى الحلبى .
٢٤- الصاحبى ابن فارس تحقيق . السيد أحمد صقر . دار احياء الكتب العربية . مصطفى الحلبى .
٢٥- عروس الافراح . للسبكى . ضمن (شروح التلخيص) ط. دار السرور. بيروت .
٢٦- الفريد فى إعراب القرآن المجيد . المنتخب الهمذانى . المجلد الأول . تحقيق د. فهمى حسن النمر . دار الثقافة . قطر ط. أولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
٢٧- كتاب الشعر . أبو على الفارسى . تحقيق وشرح . د. محمود محمد الطناحى . نشر مكتبة الخانجى .
٢٨- الكتاب سيبوبة تحقيق . عبد السلام هارون . ط. الخانجى ١٤١٢ هـ .

٢٩- كتاب المقتضب للمبرد . تحقيق . د. محمد عبد الخالق عطيه ط. المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٤١٥ هـ .
٣٠- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى . دار الكتاب العربى . بيروت .
٣١- لسان العرب . ابن منظور . ط. دار المعارف بمصر .
٣٢- مجاز القرآن لابى عبيدة . علق عليه . د. محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجى .
٣٣- المحتسب . ابن جنى تحقيق . على النجدى ناصف ، د. عبد الفتاح شلبى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ .
٣٤- مغنى اللبيب . ابن هشام تحقيق . د. مازن المبارك (بالاشتراك) ط. دار الفكر . بيروت ١٩٩٢ م .
٣٥- مطول على التلخيص . تركيا ١٣٣٠ .
٣٦- مفتاح العلوم . السكاكى . علق عليه . نعيم زرزور . دار الكتب العلمية . بيروت .
٣٧- المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبين . د. فوزى السيد عبدربه . دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٣ م .
٣٨- موهب الفتاح . ابن يعقوب المغربى . ضمن (شروح التلخيص) .
٣٩- نقد الشعر . قدامه بن جعفر تحقيق ومحمد عبد المنعم خفاجى .
٤٠- نهاية الإيجاز فى دراسة الاعجاز الفخر الرازى تحقيق . د. بكرى شيخ أمين . دار العلم للملايين . بيروت .
٤١- الوساطة بين المتنبى وخصومه . القاضى الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (بالاشتراك) دار إحياء الكتب العربية .

فهرس الموضوعات

مقدمة

المبحث الأول

القلب عند علماء اللغة والبيان

الزمخشرى – الفيومى – ابن منظور – التفتازانى

المبحث الثانى

أولاً :– موقع القلب فى مباحث علوم البلاغة

ثانياً :– مواقعه فى الاسناد الخبرى وتوابعه

المبحث الثالث

فى سجل التاريخ / دراسة القلب عند كل :

(سيبوية – أبو عبيدة – الفراء – الاصمعى – الجاحظ – ابن قتيبة – المبرد – قدامة بن جعفر – الأمدى – ابو على الفارسى – ابن جنى – ابن فارس – الشريف المرتضى – ابن سنان الخفاجى – الزمخشرى – أبو البقاء العكبرى – الفخر الرازى – السكاكى – حازم الانصارى – بدر الدين بن مالك – محمد بن على الجرجانى – الخطيب القزوينى – الامام الزركشى – ابن هشام) .

المبحث الرابع

القلب فى كلام العرب (دراسة تطبيقية)

تقسيم القلب إلى : معنوى ، ولفظى وذكر أمثلة لكل منهما :–

– آراء العلماء فى القلب

– من أغراض القلب

الخاتمة

فهرس أهم المراجع

فهرس الموضوعات

محتويات العدد

الموضـــــوع		الصفحة
مقدمة العدد		٣
للأستاذ الدكتور / محمود السيد شيخون عميد الكلية		
إيضاح		٥
هيئة تحرير الحولية		٧
• أولاً :- قسم الشريعة الإسلامية :-		
– شروط الرضاع المحرم	د/ فرج على السيد عنبر	١١
– وعاء الزكاة فى الفقه الإباضى	د/ محمود الخالدى	١٤٥
– البسملة فى الصلاة	د/ عبد العزيز محمد الربيش	١٩٣
• ثانياً :- قسم أصول الدين :-		
– فلسفة الوقت عند الصوفية		٢٤٩
د/ جيب الله حسن أحمد سالم		
– تأويل الظواهر التى غلط فيها اليهود والنصارى		٣٠٧
د/ صديق عبد العظيم أبو الحسن		
– التكافل الإجتماعى من خلال آيات الصدقات		٣٥١
د/ فهد بن حمود العصيمى		
– مواصفات التعيين فى أصول التربية الإسلامية		٣٩٧
د/ محمود الخالدى		
• ثالثاً :- قسم اللغة العربية :-		
– أثر الدرس اللغوى فى فهم النص الشرعى		٤٤٧
أ.د / محمد المختار محمد لمهدى		
– القلب البلاغى		٤٨١
د/ مصطفى السيد جبر		

رقم الإيداع بدار الكتب

٦١٩٤	١	٤	١٩٩٩

دار المصرى للطباعة
ت: ٣٨٣٦٥١٦ ـ الهرم